



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة حمه لخضر الوادي  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة العربية وآدابها



# الرحلة الدينية في الشعر الشعبي السوفي

## "رحلة قدور بالتومي أنموذجا"

### دراسة سيميائية

مذكرة علمية مكتملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي  
تخصص: أدب شعبي

إشراف الدكتور:  
عبد المالك قزل

إعداد الطالبة:  
• إيمان بن علي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عبد المالك قزل	أستاذ محاضر	جامعة حمه لخضر الوادي	مشرفا
د. نجاح مدلل	أستاذة محاضرة	جامعة حمه لخضر الوادي	مقررة ورئيسة
أ. صلاح ياسين	أستاذ مساعد	جامعة حمه لخضر الوادي	مناقشا

نوقشت بتاريخ: يوم الأربعاء 29 شعبان 1436هـ / 17 جوان 2015م

الموسم الجامعي: 1435/1436هـ / 2014/2015م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة حمه لخضر الوادي  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة العربية وآدابها



# الرحلة الدينية في الشعر الشعبي السوفي

## "رحلة قدور بالتومي أنموذجا"

### دراسة سيميائية

مذكرة علمية مكتملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي  
تخصص: أدب شعبي

إشراف الدكتور:  
عبد المالك قرل

إعداد الطالبة:  
• إيمان بن علي

الموسم الجامعي: 1435/1436هـ / 2014/2015م



## شكر وامتنان

لك الحمد يا من بسطت على عبادك سوابغ النعم، وأفضت عليهم من واسع الفضل والكرم  
يطيب لنا أن نتقدّم -بعد حمد الله تعالى- بجزيل الشكر والعرفان

ووافر التقدير والامتنان لكل من كان له علينا فضل

من أساتذتنا الكرام الذين لم يدّخروا جهدًا في إفادتنا طوال مرحلة الدراسة، ونخصّ بالذكر:

الأستاذ المشرف: الدكتور عبد المالك قزل

لما قدّمه لنا من متابعة وتوجيه لإنجاح هذا العمل فله من الله الثواب الجليل.

وبكل مشاعر الامتنان والعرفان نشكر الدكتور أحمد زغب والأستاذ محمد الصالح بن علي  
والأستاذ علي كرباع الذين لم يبخلوا علينا بالمراجع والتوجيهات التي ساهمت في ميلاد هذا  
البحث.

أما أكبر مشاعر الحب والامتنان وجزيل الفضل والإحسان فنزقّها إلى الوالدين الكريمين، فقد  
كان لهما الفضل بعد الله عزّ وجلّ في إعادتنا على سلوك هذا الدرب.

كما نتقدّم بجزيل الشكر وكثير الثناء إلى من كان لنا سندًا وزرع فينا بذور الصبر والمثابرة

وشجعنا على المضي والمتابعة الأستاذ الفاضل: لخضر كهمان.

إلى كل من مدّ لنا يد العون من قريب أو من بعيد لهم منّا أسمى معاني التقدير

فألف شكر عربون عرفان ووفاء وإخلاص

# مقدمة

إنّ الرحلة تشغل مكانة مهمّة في الثقافة العربية، حيث اهتمّ بها العرب منذ القديم، وأكثروا من التأليف فيها، فتنوّعت بتنوّع أسبابها ومقاصدها العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية. هذا عند العرب وفي الأدب الفصيح عمومًا، لكن الرحلة غير مقتصرة على الأدب الفصيح بل نجدتها منتشرة وبكثرة في الأدب الشعبي بعد أن أدرك الكثير من الباحثين أنّ هذا الميدان ليس مجرد مجال ضيق يدرس عادات وتقاليد ونمط عيش وطريقة تفكير لفئة معيّنة من الشعب، وإنما يُعدّ صدرًا رحبًا يحتضن الدراسات النظرية والتطبيقية التي اتّسمت بالأصالة والثراء والخصوبة، بالإضافة إلى تعلّقها بمناهج البحث الحديثة التي حظيت باهتمام العديد من الباحثين كالمناهج البنيوي، والأسلوبي، والسيميائي وغيرها من المناهج. وقد وجّهنا اهتمامنا للشعر الشعبي - الشعر الشعبي السوفي -، فظهر البعض منها وبقي الكثير مضمّرًا ودفين صدور حَفَظَة الشعر والتراث من الرواة، وذلك راجع لعدم تدوينه والبقاء على تداوله مشافهة جيلًا عن جيل وهذا ما يوقعه في الضياع والاندثار.

ورغم الاعتماد على المشافهة إلا أنّ منطقة البحث "وادي سوف" تعدّ ميدانًا خصبًا للبحث في التراث الشعبي، لثرائها وتنوّع فنونها الشعبية، وذلك راجع لطبيعة السكان في حدّ ذاتهم والجغرافيا وعامل الدين والعادات والتقاليد.

وعلينا الإشارة في هذا المقام إلى أنّنا قد خصّصنا الدراسة لمجال الشعر الشعبي كجانب من باقي الفنون الشعبية الأخرى، باعتباره أحد مكونات الهوية لأي مجتمع أو أمة، فهو تصوّر حياة الشعوب على مدى الأجيال ويعبّر بصدق عن حياة الإنسان ووجدانه. وبديهي أنّ الأمة التي تمتلك تراثًا شعريًا ضخمًا لا بدّ من أنّها أمة ذات ممارسات حضارية وثقافية متميّزة منذ أمد بعيد.

وقد حظيت أشعار الرحلة بمكانة مميّزة ضمن الأدب الشعبي، خاصّة وأنّنا حدّدنا نوع الرحلة واخترنا الرحلة الدينية محورًا للموضوع، وكانت قصيدة الشاعر الشعبي قدور بالتومي في رحلته إلى الحجّ كنموذج، وبالتالي يكون عنوان بحثنا كالتالي: الرحلة الدينية في الشعر الشعبي السوفي "رحلة قدور بالتومي أنموذجًا" - دراسة سيميائية - ولهذا الدراسة أهداف متمثلة في:

● البحث عن مكونات الذات الإيمانية للمسلمين من خلال تلك الرحلات التي يقومون بها إلى البقاع المقدّسة وأرجاء الديار العربية، باعتبار أنّ الحجّ إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول صلى

الله عليه وسلم من أعظم بواعث الرحلات، وتعدّ هذه المناسبة من أعظم المناسبات التي تتوق إليها نفس المسلم.

● محاولة إجلاء فن الرحلة لشعراء دونوا يومياتهم وانطباعاتهم في قصائد، ونقلوا صورًا لما شاهدوه وخبروه في أقاليم قريبة وبعيدة، وتكمن الأهمية في الأفكار والأخبار التي تسرّبت بين أبيات الشعراء وهم يصفون رحلاتهم ويسردون الصور التي ميّزت نظرهم إلى البلدان والناس والعادات والتقاليد، هذا فضلاً عن كونه مادّة سردية مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش ممّا التقطته عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى.

ومن أبرز الدوافع التي أدّت بنا لاختيار هذا الموضوع هي:

- محاولة الحفاظ على ما هو مهدّد بالزوال والاضمحلال، ولهذا سعينا إلى انتشار ما يمكن انتشاره من مادّة خام كانت عرضة للتغيّر والنسيان، وإدراكنا العميق بضرورة المشاركة في حماية الفنون القولية الشعبية في وقت كثرت فيه وسائل الترفيه المتباينة وهي سلاح ذو حدّين، والتي جعلت الإنسان يغضّ النظر عن التراث.
- بالإضافة لتسليط الضوء على الثروات الأدبية، وأن نقرب منها ونتعرّف عليها ونحاول عرضها للدرّس والتحليل، كما أردنا الكشف والاطّلاع والوعي بالآخر الذي تشكّل نتيجة تصوير الشعراء.

أمّا عن اختيار النموذج والمنطقة كان سببه أنّنا نشترك مع الشاعر في اللهجة كوننا جميعًا من أهل المنطقة، ونشترك في تشكيلتها المجتمعية.

وممّا لا ريب فيه أنّ أشعار الرحلة تنوّعت وانتشرت عبر مراحل زمنية متعاقبة عن طريق الأجيال، وسنسعى في هذا البحث للكشف عن هذه الأشعار وعن أصحابها، ودواعي قولها كما سنتطرّق إلى دوافع وعناصر وأنواع الرحلة بالنسبة للشعراء الشعبيين، ومنها نسلطّ الضوء على التساؤلات والمحاور التي شكّلت بؤر موضوع البحث: أين تتموضع رحلة قدور بالتومي إلى المقدّس من بين رحلات الحياة جميعًا؟ وكيف تجاوزت هذه الرحلة الصفات الدنيوية إلى الرغبة في

## الخلود في الجنّة والفوز في الحياة الآخرة؟ وكيف تجلّت صور الرحلة الدينية في الشعر الشعبي وما الدافع من ورائها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا البحث إلى مقدّمة ومدخل وفصل نظري وآخر تطبيقي وخاتمة، فكانت المقدّمة عبارة عن لمحة عامة للموضوع، أمّا في المدخل حاولنا تحديد المفاهيم المتعلّقة بالرحلة عمومًا في الأدب الفصيح، ثمّ تطرّقنا إلى دوافعها وأغراضها وأنواعها، وكلّ ذلك في الأدب الفصيح وهو عبارة عن مدخل ييسّر علينا فهم الرحلة في الأدب الشعبي. والفصل الأوّل من البحث الذي هو معنون بـ المفاهيم والمباني الدلالية للرحلة الدينية في الشعر الشعبي، تضمّن الأمور المتعلّقة بالرحلة في الأدب الشعبي من حيث المفهوم والعناصر والأنواع. وخصّصنا الفصل الثاني الذي هو بعنوان رحلة قدور بالتومي إلى المقدّس وتطرّقنا فيه لدراسة النموذج الشعري سيميائيًا فطبّقنا النموذج العاملي ومرّع غريماس، والثنائيات الضديّة على قصيدة الشاعر الشعبي قدور بالتومي، وأنّحينا البحث بخاتمة دوّنا فيها أهمّ الاستنتاجات التي خلص إليها البحث.

اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بعدد من المناهج المناسبة لهذا الموضوع، فجاء المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظاهرة المعنية بالدراسة من خلال ذكر مواصفاتها وملاحظاتها وحالاتها، ويظهر ذلك في المدخل وفي الفصل الأوّل عند التطرّق إلى الأنواع والدوافع والعناصر التي تبنى عليها الرحلة في الأدب الفصيح أو الشعبي. كما استعنا بالمنهج السيميائي في الفصل الثاني واقتضى ذلك تحليل القصيدة اعتمادًا على النموذج العاملي ومرّع غريماس، والثنائيات الضديّة. ومن أبرز الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث،

- هي قلة المراجع التي تتصل مباشرة بموضوع البحث خاصّة في التحليل السيميائي للنصوص الشعرية، فأغلب المراجع ثريّة بالتحليل السيميائي للفنون الأخرى النثرية كالحكاية الشعبية.
- كما أنّ أغلب الدراسات السابقة تتحدّث عن الرحلة في الأدب الفصيح وتختلف في جوانب عديدة عن الرحلة في الأدب الشعبي.

● بالإضافة إلى انحصار الرحلة الدينية تقريبًا في الذهاب إلى الحجّ أو زيارة الأولياء تقريبًا فهي تضيّق مجال البحث، وتكمن الصعوبة هنا في أننا نحصل على النصوص الشعرية التي تتحدّث عن الرحلة فقط، أي أنّ أغلب ما توصلنا إليه هو من اجتهاد واستنتاج للقصائد.

وبعون الله تعالى استطعنا التغلّب عن الكثير منها من خلال اعتمادنا على بعض الكتب والتي تُعدّ مصادر للموضع نذكر منها: الرحلة في الشعر الشعبي، لصاحبه العيدي بلغيث. وأعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، لصاحبه أحمد زغب خاصّة الجزء الأوّل. وكذلك بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، لصاحبه حميد لحميداني.

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أقدم جزيل الشكر وكثير الشناء لكلّ من كان لنا سندًا في إنجاز هذا البحث، وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف "عبد المالك قرل" الذي لم يخل علينا بالتقييم والتقويم ما وجد إلى ذاك سبيلًا، ونسأل الله أن يسير بخطانا إلى ما فيه صلاح أمورنا.

مدخل

مدخل:  
في أدب الرحلات

أولاً: تحديد المنظومة اللغوية والاصطلاحية

ثانياً: دوافع وأغراض الرحلة

ثالثاً: أنواع الرحلات

## تمهيد

عرفت البشرية في جميع مراحلها الرحلة كفعل إنساني بأشكال مختلفة، اختلط فيها المتخيّل بالواقعي، فقد جُبل الإنسان على الأسفار بحثًا عن الرّزق أو طلبًا للعلم بشتّى فروعها، أو للترويح عن النفس وكان ذلك دأب الإنسان منذ أن خلقه الله. وفي هذا يقول إليوت: "ارتحلوا... انطلقوا أيها الرحالة فأنتم لستم نفس الأشخاص عند بدء الرحلة"<sup>1</sup>. ومن خلال نظرة إليوت فما عليك إلا:

- أن تسافر..
- أن تقرأ الكتب..
- أن تقرأ كتب الرحلات..

ويقول أبو الحسن المسعودي: "ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسّم عمره على قطع الأقطار، ووزّع بين أيّامه تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكنه"<sup>2</sup>. وبالتالي نستنتج أنّ للرحلة دوافع وأغراض وأنواع وفوائد ستحدّث عنها في هذا الفصل.

## أولاً: تحديد المنظومة اللغوية والاصطلاحية

لكل بحث أو دراسة مصطلحات ومفاهيم يتم الارتكاز عليها، فالضرورة العلمية تتطلب القيام بهذه التعريفات وشرحها، ومحاولة تحديد إطارها العام قصد إزالة أي لبس قد ينشأ جراء استخدامها وتكوين فكرة جلية عن الموضوع، ونظرًا لما للمفهوم من أهمية في الدراسة ارتأينا إيراد أهم المصطلحات التي تخدم إشكالية بحثنا وهي على النحو الآتي: الرحلة، السفر، وعمومًا يدور مفهومهما في معظم بطون الكتب والمعاجم العربية واللاتينية حول الانتقال.

## الرحلة لغة:

جاء في كتاب العين مادة "رحل" باب الحاء والراء واللام: "رحل: الرّاحِلَةُ: المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى. ورَحَلْتُ بعيري أرخله رَحَلًا، وارْتَحَلَ البعير رُحْلَةً أي سارَ فَمَضَى. ثم جَرَى في المنطق حتى يقال: ارتحل القوم. والرّحيل: اسم الارتحال للمسير، والمَرْتَحِلُ: نقيضُ المَحَلِّ"<sup>3</sup>. وهي تعني

<sup>1</sup> حسين محمد فهمي، أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جانفي 1978م، العدد 138، ص 6.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 6.

<sup>3</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ط، ج 3، ص 207، 208.

السير والارتحال. كما وردت هاته اللفظة في القاموس المحيط كالاتي: "الرَّحْلُ: مَرْكَبٌ لِلبَعِيرِ، وَبَعِيرٌ ذُو رِجْلَةٍ، بِالْكَسْرِ وَالضَّم: قَوِيٌّ. وَارْتَحَلَ الْبَعِيرُ: سَارَ وَمَضَى، وَالْقَوْمُ عَنِ الْمَكَانِ: انْتَقَلُوا، كَتَرَحَلُوا، وَالاسْمُ: الرَّحْلَةُ، بِالضَّم وَالْكَسْرِ، أَوْ بِالْكَسْرِ: الْارْتِحَالُ، وَبِالضَّم: الْوَجْهُ الَّذِي تَقْصِدُهُ، وَالسَّفَرُ الْوَاحِدَةُ. وَرَحَلَ، كَمَنَعَ: انْتَقَلَ. وَتَطَلَّقَ عَلَى الْإِبِلِ إِذَا سَمِنَتْ بَعْدَ هُزَالِ فَأَطَاقَتِ الرَّحْلَةَ"<sup>1</sup>. " وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّمَا هُوَ رَحْلٌ أَوْ سَرَجٌ، فَرَحْلٌ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، وَسَرَجٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُرِيدُ أَنَّ الْإِبِلَ تُرَكَّبُ فِي الْحُجِّ وَالْحَيْلِ فِي الْجِهَادِ. يُقَالُ: رَحَلَ الرَّحْلُ إِذَا سَارَ، وَأَرَحَلْتُهُ أَنَا. وَرَجُلٌ رَحُولٌ وَقَوْمٌ رُحَلٌ أَي يَرْتَحِلُونَ كَثِيرًا. وَرَجُلٌ رَحَالٌ: عَالِمٌ بِذَلِكَ مُجِيدٌ لَهُ.. وَالرَّاحِلَةُ مِنَ الْإِبِلِ: الْبَعِيرُ الْقَوِيُّ عَلَى الْأَسْفَارِ"<sup>2</sup>.

وإذا أردنا التدقيق أكثر في المنظومة اللغوية للفظه نجد أن مدلولها ومرادفها لفظه سفر وهي تعني: "قَطْعُ الْمَسَافَةِ، وَالْجَمْعُ الْأَسْفَارُ. وَالْمِسْفَرُ: الْكَثِيرُ الْأَسْفَارِ الْقَوِيُّ عَلَيْهَا.. وَبَعِيرٌ مِسْفَرٌ: قَوِيٌّ عَلَى السَّفَرِ"<sup>3</sup>.

هذه المفردات في جلّ معانيها تنصبّ حول السير والانتقال والسفر، فالإنسان الذي يقوم بالرحلة سترك وطنه عن إكراه أو رغبة متجهًا إلى أرض غريبة عنه لأغراض ودوافع متنوعة وهنا يكمن سرّ الرحلة.

إضافة إلى ذلك يتجلى لنا من خلال ما سبق أنّ المعاجم على اختلافها فهي تشترك في كونها لم تغفل الجانب الاجتماعي والوظيفي الذي تؤديه الإبل، وتبيّن لنا كذلك مدى اهتمام العرب بها على أنّها عنصر مهم في قضاء الرحلة فهي كما هو معروف يطلق عليها سفينة الصحراء. ولقد حظيت الألفاظ المتعلقة بهذا الكائن بمقومات دلالية مكنتها من تجاوز الحقل الدلالي لها إلى حقل آخر، وهذا بسبب الحضور المادي والمعنوي لهذا الحيوان في الذهنية العربية. وبالتالي ربط العرب في لغتهم بين الدوّاب التي يرحلون عليها وبين مفهوم الرحلة بصورة عامة، فأخذوا كلمة الرحلة من المعنى "ناقة رحيلة أي شديدة قوية على السير وارتحل البعير أي سار"<sup>4</sup> ثم جرى ذلك في المنطق حتى أصبح يطبّق على الإنسان فنقول ارتحل القوم عن المكان أي سار ومضى.

<sup>1</sup> الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 8، سنة 2005م، ص 1005.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط 3، ج 11، ص 276، 277.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، مادة "سفر"، ج 4، ص 368.

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة "رحل"، ج 11، ص 278.

أما الرحلة في المعاجم الفرنسية تحمل فهي أيضا تحمل نفس المعنى: voyage تعني سفر/ رحلة، والفعل منها voyager أي سافر/ رحل، والفاعل مسافر voyageur. وتطلق على شخص رحلاتي أو ينظم الرحل وملتزم بالرحل<sup>1</sup> voyagiste.

## الرحلة اصطلاحا

عرّف الإمام الغزالي السفر والرحلة بأتهما: "نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات... فهو نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة... والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم، أي يسافر الإنسان إلا في غرض والغرض هو المحرك"<sup>2</sup>.

وعرّفها بطرس البستاني: "بأنّها انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة، وأسباب متعدّدة"<sup>3</sup>.

كما عرفت الرحلة بأنّها: "الانتقال من بلد إلى آخر من أجل الحصول على الحديث وعلو الإسناد والوقوف على أحوال الرجال"<sup>4</sup>. فهناك تداخل كبير بين الحقلين اللغوي والاصطلاحي فالجامع بينهما فكرة الحركة، وهناك تعريفات أخرى نذكر منها:

- هي السفر سوى كان بصفة فردية أو جماعية طلباً للرزق والتجارة، والإطلاع والمعرفة<sup>5</sup>.
- وتتعريف آخر هي: "محاولة لارتياح المجهول، والعودة بالأخبار والصور عمّا كنا نجهل وجوده"<sup>6</sup>.
- أو هي سعي الإنسان وتحمل مشقة السفر واختراق حاجز المسافة على امتداد الأرض الوعرة حيناً، والأرض غير الوعرة أحياناً أخرى، لإتمام الرحلة وجني ثمراتها في نهاية الطريق. فالرحلة إذاً قديمة قدم الإنسان ذاته، وكما لعبت دورها في الكشف الجغرافي فقد يحصل معها أيضاً الاتصال بين الشعوب، واكتساب معرفة الواحد بالآخر خصوصاً فيما يتعلق باللغة والتقاليد

<sup>1</sup> Larousse, petit Larousse illustré, Librairie Larousse, 1990, p 1031.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت، د ط، ج 2، ص 245، 250، 260، 261.

<sup>3</sup> ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، ط 1، سنة 1995م، ص 24، 25.

<sup>4</sup> فاضل إسماعيل خليل، الرحلة في طلب الحديث، مجلة آداب البصرة، البصرة، سنة 2005م، العدد 38، ص 33.

<sup>5</sup> ينظر: علي إبراهيم كردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م، د ط، ص 09.

<sup>6</sup> إلياس الموصلي، الذهب والعاصفة رحلة إلياس الموصلي إلى أمريكا أول رحلة شرقية إلى العالم الجديد 1668-1683، حرّرها وقدم لها نوري الجراح، دار السويدية للنشر والتوزيع و المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، سنة 2001م، ص 12.

والعادات، الأمر الذي جعل المؤرخون يرون أنّ تلك المعرفة قد وضعت الجذور الأولى لمادة الإثنوغرافيا\* التي تشكل بدورها قاعدة هامة للمقارنة بين النظم الاجتماعية لدى البشر<sup>1</sup>.  
والحقيقة أنّ الإنسان منذ أن يولد حتى يموت وهو في رحلات دائبة، تتعدد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الظروف، بل حتى لحظات ميلاده تعد رحلة من رحم الأم إلى دنيا البشر وهناك رحلات أخرى متباينة عن طريق العلم، وعن طريق النضج من عمر إلى عمر، وفي إطار التشكيل الاجتماعي هناك رحلة من العزوبة والفردية إلى الزواج وتكوين الأسرة، وهناك رحلات داخل الوطن ورحلات خارجه، وتتسع مساحة الحركة وتمتد الرحلة لتصبح رحلة من الأرض إلى القمر والكواكب. على أنّنا في هذه الدراسة نعني بإلقاء الضوء على الرحلات التي تمت فعلاً في إطار المكان بوصفه البعد الرئيسي في إنتاج مادة ذات طبيعة جغرافية وإنسانية انعكست بصورة أو بأخرى على رؤية كاتبها<sup>2</sup>. وهاته الفكرة الأخيرة -إنتاج مادة- تحيلنا إلى فكرة هامة وجديرة بالدراسة ألا وهي أدب الرحلة فهناك عدّة رحلات وأخبار وصلت إلينا، فهي الصورة التي ينقلها لنا الرحالة عن رحلته، ومن هنا السؤال المطروح: ماذا نعني بأدب الرحلة؟ وهل يعد جنس أدبي قائم بذاته؟ وهل يرتقي للأجناس الأدبية الأخرى؟

## أدب الرحلات

مما لا شك فيه أن الوقوف عند تعريف جامع و شامل لأدب الرحلة أمر صعب، وهذا ما يفسر تعدد التعريفات التي صاغها الباحثون والمهتمون بهذا المجال، وتأتي صعوبة تحديد وصياغة مفهوم للرحلة من عدّة اعتبارات أساسية منها: غياب تعاريف دقيقة، ووجود نصوص رحلية كثيرة ثريّة ومتنوعة، وانفتاح النصّ الرحلي على عناصر أخرى متحركة تحضر أو تختفي بدرجات متفاوتة بين النصوص.

بيد أنه لا بأس من الوقوف عند بعض التعريفات عسى أن نخلص إلى تعريف شامل ودقيق، "وقد درج الكتاب العرب على استخدام عبارة "أدب الرحلات" للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين وغيرهم التي يصفون فيها البلدان والأقوام، والتي يذكر فيها أيضاً أحداث تجوالهم، ودوافع رحلاتهم،

\* الإثنوغرافيا: تعني الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات.

<sup>1</sup> ينظر: حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص 18.

<sup>2</sup> ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 2، سنة 2002، ص 18، 19.

وما قد يصاحب ذلك من بلورة لانطباعات شخصية، أو إصدار أحكام تقويمية لما شاهدوه أو سمعوه<sup>1</sup>.

ولقد ورد تعريفها في معجم المصطلحات العربية كالاتي: "أدب الرحلة: هو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من سلوك وعادات وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"<sup>2</sup>.

أما أنجيل بطرس فقد عرف أدب الرحلات: "ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفًا له، يسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير"<sup>3</sup>. إضافة إلى ما ورد في التعريف السابق يقف هذا التعريف عند شروط يجب توفرها في تسجيل المشاهدات وهي الصدق والدقة وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير، وهو أمر لا نجد في جميع الرحلات ومع ذلك تعد ضمن كتب الرحلات، ولاشك أن هذه الشروط قد لا نجدها في كل الرحلات، وعلى الرغم من ذلك تسمى رحلات، أي إن هذه الشروط ليست محددات تسمى الكتابة رحلة بحضورها، ولا تسمى كذلك بغياها.

وهذه عمومًا بعض التعريفات لأدب الرحلة، وهناك عدة تعريفات ومداخلات أخرى تثبت من شأنها فكرة كون أدب الرحلة جنس أدبي قائم بذاته، وهو ذو قيمة عالية فيما يرى الدكتور محمد الفاسي في قوله: "وهو نوع قائم بذاته، هذا النوع هو شخص المؤلف ونيتته، ووصفه ما يعرض له في سفره، وذكر الإحساسات التي يشعر بها أمام المناظر التي يمر بها، مع اطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها، وعلى عوائد أهلها وأخلاقهم وأفكارهم، وهو في كل هذا يعبر عن نفسه وعن عواطفه، وعن وجهة نظره الخاصة في كل مسألة"<sup>4</sup>. وهو فن قائم بذاته، له أصوله وقواعده الفضفاضة، التي تتيح له قدرًا كبيرًا من المرونة والقدرة على التطور والتلون حسب مقتضى كل فرد، أو عنصر، أو بيئة.

ويخرج أدب الرحلة عن دائرة الأدب عندما نتعامل معه على أنه مجرد تسجيل جغرافي وليس عملاً إبداعيًا له سمات تميزه عن غيره من الفنون. ويستطيع الباحث المدقق كما يقول الدكتور سيد

<sup>1</sup> حسين محمد فهمي، أدب الرحلات، ص 13.

<sup>2</sup> مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط 2، سنة 1984، ص 17.

<sup>3</sup> ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 38.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 39.

حامد النساج أن يظفر بمئات من الكتب في أدب الرحلات، أي ذلك النشر الذي يتخذ من الرحلة موضوعاً، أو بمعنى آخر الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نشري متميّز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصوّر بناء فني له ملامحه وسماته المستقلّة<sup>1</sup>. فأدب الرحلة بتعبير آخر هو: ذلك النشر الذي يصف رحلة واقعية، قام بها رحال متميّز، موازناً بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه.

وكتعقيب على هاته الفكرة نلاحظ ميل الباحث لاستخدام النشر ويعود ذلك في رأيه إلى أن النشر يتيح للرحال حرية الوصف والحركة دون قيود أو معوقات، كما أنه أداة تواصل بين الشعوب، وهنا بالخصوص علينا الانتباه إلى أنّ اللغة والأدب من أهم آليات التواصل التي ابتكرها الإنسان وسعى لتنميتها وترقيتها على امتداد العصور، والأدب كما هو معروف له شقان النشر والشعر وبالتالي لا نسلب الشعر حقّه في القدرة على التواصل والتأثير، فللشعر لغة خاصة به تمتاز بسمات دلالية تختلف كثيراً عن لغة النشر، حيث أن لغة الشعر هي في الواقع لغة النفس أي ما يصدر عن النفس بما يحيط بها من توتر ومعاناة وقلق وتمزق وتفاؤل وتشاؤم وانفعال تحيط بعوالم الشاعر. وبالتالي نشير إلى أنّ هناك رحلات ثرية كرحلة ابن بطوطة وغيرها، وهناك رحلات شعرية وكمثال عن ذلك نورد رحلة العامري التازي إلى الحج بلغ عدد أبياتها خمسة وثلاثين وثلاثمائة بيت، إذ قام التازي في هذه القصيدة بوصف المراحل من تازة\* إلى مكة، ومنها إلى الشام وصفاً كافياً، ولكن ذكرها بنصها الكامل يطول، لذلك نقتطف منها بعض الأبيات وهي تبتدئ على النحو الآتي:

لشفيع الأنام فهو الدواء!  
ري بأي الأمور يأتي القضاء!  
كان منك وإن يكونوا أساؤوا!  
وجمالاً تطوى بها الأقلاء  
سيما عندما يحين الشتاء  
وهو أصعب إن تكن رمضاء!

أرْمِعِ السَّيْرَ إِنْ دَهَتْ أَدْوَاءُ  
وَادْخِرِ عَوْلَةَ الْعِيَالِ فَلَا تَد  
وَاسْتَحِلِ الْإِخْوَانَ وَالْأَهْلَ مِمَّا  
وَانتخب أسرع المراكب سيراً  
واتخذ للفصول خير لباس  
إن برد الحجاز أعسر برد

<sup>1</sup> ينظر: سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، الكويت، جانفي 1987، العدد 338، ص 133.

\* تازة مدينة مغربية من أقدم المدن العالمية، تقع 100 كلم شرق فاس. تعتبر مركز هام، نظراً لموقعها الجغرافي، شرق المغرب، كانت تعتبر عاصمة وأهم نقطة تحول من حكم لآخر ومن دولة لأخرى، إذ يستحيل السيطرة على المغرب دون التحكم في تازة. لعبت أدواراً مهمة في تاريخ المغرب، علمياً، وجهاداً ضد المستعمر.

كم قتيل بشؤمه وقت حرّ  
 مثل قرّ تفنى به الأحياء!  
 إلى أن يصل إلى وادي فاطمة\* حيث يقول:  
 ثم في واد فاطم انزل على ما  
 أكثرن الطواف بالبيت والشر  
 فهو يغني عن الطعام، وعن شر  
 وتعاهد معاهد الخير فيها  
 موضع البيت مهبط الوحي، مأوى الرُّ  
 ء ومن بعد مكة الغراء!  
 ب بزمزم إذ لديه الشفاء  
 ب، ويمنح ما يسر انتواء  
 ومن الشيخ نالها الإنشاء  
 سُئل حيث الأنوار، حيث البهاء<sup>1</sup>

إنّ الذي نتوخاه من الحديث عن هذه الرحلة الحجازية الشعرية هو تأكيد أن نصيب الرحلة عند الشعراء لا يقل عن نصيبها عند الكتاب، وليست قصيدة التنازي إلاّ واحدة من عشرات القصائد التي اهتمت بهذا النوع، كما سنتطرق فيما بعد إلى تفصيل شعر الرحلة في الأدب الشعبي إذ كل الرحلات كانت شعراً.

كما ذكر في هذا التعريف شرط كون الرحلة واقعية، وهذا ما يميّز أدب الرحلة عن غيره من الأنواع الأدبية، لكن يجب الوقوف هنا أيضاً لأن أدب الرحلة عمل فني، والمتوقع أن يمتزج فيه الواقع بالخيال، بيد أن دور الخيال يكون ضئيلاً<sup>2</sup>.

ويتمتع أدب الرحلة بعدة خصائص في الأسلوب تجعله مميّزاً وهذا ما يؤكد بأنّه فن قائم له أسس كباقي الأجناس الأدبية الأخرى نذكر منها:

- براعة الاستهلال إذ تبدأ بمقدمة رائعة الخيال بين ذكر دوافع السفر، واقتحام العقبات، وركوب الخطر، ومفارقة الأوطان وفراق الإخوان.
- استخدام المفردات السهلة المعروفة، وشرح المفردات الأعجمية إن وردت وقد يسهل الأسلوب ويرقّ حتى يصل إلى درجة استخدام الألفاظ العامية.

\* وادي فاطمة واد كبير من أودية تامة غرب المملكة العربية السعودية حالياً. يجري الوادي من الشرق إلى الغرب، بادئاً من أعالي السرّة قرب الطائف لينتهي عند بلدة بحرة بين جدة ومكة، وهو واد خصب وفير الماء وبه العديد من القرى أهمها الجموم، وقد أقيم بالوادي سد ضخم هو سد وادي فاطمة وكان اسمه في الجاهلية وادي مر الظهران وكان من ديار قبيلة عك ثم خرجت منه وسكنته قبيلة خزاعة وبني الدئل بن بكر من قبيلة كنانة.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الهادي التنازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، 2004، د ط، ج 1، ص 358، 360، 361.

<sup>2</sup> ينظر: نادية محمود عبد الله، الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندريه جيد، عالم الفكر، الكويت، المجلد 13، العدد 4، جانفي، فيفري، مارس 1983، ص 118.

- غلبة الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، لدلالاتها على الحركة، وهذه الجملة الفعلية تستخدم الألفاظ الدالة على الحركة بشكل ملحوظ، وليس هذا غريباً لأنه يتفق مع طبيعة الرحلة.
- عند استخدام الجملة الاسمية، فإنها تكون قصيرة غالباً، كما تتكوّن من الركنين الرئيسيين للجملة: الاسم والخبر.
- استخدام السرد القصصي، باعتبار أنّ الرحلة حكاية لها بداية ووسط ونهاية، كما يستخدمون الوصف، أما أفضل ميزاتهم فتتمثّل في الاستخدام الذكي للحوار<sup>1</sup>.
- تدوين الأحداث والمفاجآت التي تحصل بتسلسل وفق زمن حدوثها ومكانه.

## ثانياً: دوافع وأغراض الرحلة

إنّ الرّحال إنسان مدفوع للحركة لأسباب طبيعية، وجمالية، وعقلية، إضافة إلى الأسباب الروحية، وينسب للإمام الشافعي رحمة الله عليه أبيات حثّ فيها على السفر وعدّد فوائده، جاء فيها:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى      وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

<sup>1</sup> ينظر: ناصر عبد الرزاق الموائى، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص16.

تفرّج همّ، واكتساب معيشة وعلم، وآداب، وصحبة ماجد<sup>1</sup>

وهذا دليل على أنّ ثمة أسباب تدفع الإنسان للرحيل، نذكر منها:

**1. دوافع دينية:** كأن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدّسة تلبية لنداء الرحمان وتوبة، وتطهيراً للنفس من دنس الذنوب، وعهداً للسير على الصراط المستقيم وأملاً في المغفرة، فالحج من أهمّ البواعث للرحلة لما كان يتمتّع به المجتمع من قيم روحية، فكان أقصى أمني المسلم زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وغالباً ما كانت الرحلة إلى الحج تقترن بزيارة الأماكن المقدّسة في الشام وفلسطين. لما لهذه الأماكن من منزلة أثيرة عند هؤلاء<sup>2</sup>.

**2. دوافع علمية أو تعليمية:** بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، وتذكر كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلباً لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي... ولا نملك لمثل هؤلاء حصراً فما أكثرهم<sup>3</sup>. ويعدّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثابة كبرى الجامعات في العالم الإسلامي يقبل إليه طلبة العلم للترؤد منه فمما روي عنه صلى الله عليه وسلم حاثاً على زيارته للعلم، قال أبو هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من جاء مسجدي هذا، لم يأت به إلاّ لخيرٍ يتعلّمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله"<sup>4</sup>. وكثيراً ما كان الغرضان يمتزجان معاً: الحج وطلب العلم كما نرى عند ابن رُشيد والعبدي وغيرهم.

**3. دوافع سياسية:** "كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى؛ لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيداً لفتح أو غزو"<sup>5</sup>.

**4. دوافع سياحية وثقافية:** "تصدر عن رغبة وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة والمسالك

<sup>1</sup> أبي عبد الله محمد بن إدريس، ديوان الإمام الشافعي، شرحه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطّبّاع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د ط، ص 60.

<sup>2</sup> ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 19.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

<sup>4</sup> ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج 1، ص 82.

<sup>5</sup> فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 20.

والطبائع، وقد تكون للتعرف على المعالم الشهيرة كالأثار والمنارات والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب"<sup>1</sup>، إذ يقول كاتب فرنسي: "إنّ الرحلة أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان" فطبيعي جداً أن يسافر الإنسان أن يرحل، أن يذهب بعيداً عن بيته ووطنه ليرى ويعرف، إنّه حب المعرفة إنّه المغامرة إنّه المجهول الذي يتحدانا ونتحداه، إنّه متعة المعرفة والخوف، لذلك نقول بأنّ الرحلة فيها مزيج من الرغبة والرغبة ولكن الإنسان يفضل دائماً أن يعرف المجهول مهما كان الثمن.

**5. دوافع اقتصادية:** "للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو ل جلب سلع تتوفر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر، وقد يكون هرباً من الغلاء وسعيًا وراء اليسر والوفرة أو للعمل"<sup>2</sup>.

**6. دوافع صحية:** "كالسفر للعلاج أو الاستشفاء، أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هرباً من وباء أو طاعون أو تلوث. وهناك دوافع أخرى للارتحال كالسخط على الأحوال وضيق العيش، أو الهروب من عقوبة"<sup>3</sup>. وأياً ما كان الغرض من الرحلة فإنّها في أغلب الأحوال سلوك إنساني حضاري، يؤتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها. وكان أحدهم يقول: "يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فإنّ الماء إذا ساح طاب، وإذا طال مقامه في موضع تغيّر" وليس هناك شك في أنّ السفر جامعة تحفل بالدروس والعبر، وتحتشد بالعلم والمعرفة.

### ثالثاً: أنواع الرحلات

إنّ النصوص بتنوعها عبر مختلف الفترات الزمنية تحاول أن تمثّل عصرها، وهذا ما خلق لها الرسوخ، وبناء رؤى مختلفة والخروج من دائرة الانكماش بإبداع أشكال جديدة للرحلة (رسائل، شعر، نثر، برامج) ذات مضامين مرتبطة بالمرجع الخيالي/ واقعي ذلك أنّ لكل رحالة مرجعه الخاص وفضاءه كذلك، وتكون ذات طابع ديني أو علمي أو خيالي (معارج، منامات)، كما أنّها تنقسم من حيث الامتداد إلى داخلية/ خارجية وهذا التطور الملحوظ، قد طبع الرحلة العربية خاصة مع ظهور التدوين كنقطة حضارية من الاعتماد على الذاكرة إلى الكتابة وهكذا وصلت إلينا. ونظراً لتنوع الرحلات

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 20.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 20.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 20.

تنوّعت كذلك طرائق تدوينها فمنها التي دوّنت أثناء السفر (العبدري)<sup>1</sup> أو المذكرات وهي الشكل الأكثر انتشاراً، يعتمد فيها الرحالة إلى تدوين وتسجيل ما يمكن أن يفوته، ونوع آخر لا يقل أهمية وهو إما مروية (ابن بطوطة)<sup>2</sup> أو على شكل تقرير (ابن قنفذ)<sup>3</sup>.

وبالتالي نقول شغلت الرحلة مكاناً مميّزاً في الثقافة العربية، فقد تضافرت دواعي وأسباب مختلفة دفعت الناس للرحلة ويسّرت أمرها، فكثرت الرحلات وتنوّعت بتنوّع حوافرها ومقاصدها العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وراج أدب الرحلات الذي استهوى قراءه بما كان يعرض من المشاهد والآثار المجهولة، والعجائب المشوّقة، وبما كان يصوّر من عادات الناس وأخلاقهم ومشاعرهم تصويراً يبيث الحياة والحركة، وحفلت المكتبة العربية بمختلف أنواع الرحلات فرحلة تصف الأقاليم والبلاد وما حوت من الغرائب، ورحلة يهفوا صاحبها إلى زيارة البيت العتيق، ورحلة مطلبها الأول لقاء العلماء ومذاكرتهم والأخذ عنهم ورابعة للسفارة وربط أواصر الصداقة، وخامسة تتراد المجهول من البقاع حباً للمعرفة، أو سعيّاً وراء التجارة والربح، أو تطلّعاً إلى نشر الدين وهكذا.

ومن هنا يمكن لنا وضع تصنيف لأنواع الرحلات فيما يلي:

## 1- الرحلات الفعلية:

وهي رحلات يقوم بها الرّحّال في الوجود الفيزيائي تكون إمّا داخلية أو خارجية، تستند إلى مرجعية ملموسة في الزمان والمكان وأحداث واقعية، ذات خصوصيات مشتركة وتنقسم إلى:

أ- رحلات دينية وعلمية: لقد كانت الرحلة لأداء الركن الخامس "الحج" وزيارة البقاع المقدّسة وأداء الفريضة، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ سورة الحج الآية 27، وتتطلب مثل هذه الرحلة المرور

<sup>1</sup> يعد العبدري من أهم الرحالين المغاربة في القرن السابع الهجري، وكان الهدف من رحلته أداء فريضة الحج، وطلب العلم. وقد دون العبدري مشاهداته في رحلة جلييلة الفوائد، عظيمة القيمة، هي "رحلة العبدري" أو "الرحلة المغربية".

للتوسع ينظر: زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1981م، ص 132، 133.

<sup>2</sup> هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي بن بطوطة بن حميد الغازي بن القريش العلي، تسمّى باسم أمه بطوطة وهي في الأصل فطومة (ولد في 24 فبراير 1304 - 1377م بطنجة) (703 - 779هـ) هو رحالة ومؤرخ وقاض وفقه مغربي لقب بأبى الرحالين المسلمين. للتوسع ينظر: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدّم له وحققه عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، د ط، سنة 1997م، المجلد 1، ص 80. وينظر: شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط 4، ص 95.

<sup>3</sup> ابن قنفذ (740 - 810 هـ = 1340 - 1407 م) وهو أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني، ابن قنفذ: باحث، له علم بالتراجم والحديث والفلك والفرائض اشتهر بابن قنفذ وبابن الخطيب من أهل قسنطينة (Constantine) بالجزائر ولي قضاءها، ورحل إلى المغرب الأقصى فأقام 18 عاما. (تيسير المطالب في تعديل الكواكب). ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، لبنان، ط 15، 2002، ج 1، ص 117.

بالبلاد المشرقية، وطريق الرحلة مليء بالمزارات والمقابر وأضرحة الأولياء، وفي هذا يعتقد الرحالة أنّ النظر إلى وجوه الأولياء عبادة، وفيها أيضا حركة بالرغبة للاقتداء بهم والتخلّق بأخلاقهم وآدابهم، "فيقصد الأولياء والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرّك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر في أحوالهم"<sup>1</sup>. كما تكون الرحلة لزيارة المساجد الثلاث، ومن هنا فالرحلة مرتبطة بالجانب الديني على أنّه الدافع الأول والمحرك للرحلات الأخرى كنوع خاص "فالرحلة تعني تسجيل الحاج للمشاعر والحوادث والمشاهدات التي تقع له منذ خروجه من بلده إلى غاية عودته إليها"<sup>2</sup>.

أما عن الرحلة العلمية نجد أنّ الدارس إذا أتمّ تعليمه في بلاده سافر ونزل في بلدان أخرى يحضر فيها الدروس ويستفيد من مشايخهم ويكون إما علماّ بأمور الدين أو بأمور الأخلاق، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"<sup>3</sup> ولقد حثّ الإسلام على هذا الجانب وجعل منه فريضة وطلبه عبادة والبحث عنه جهادًا، وهي إلى جانب ذلك قديمة قدم الحضارات وتبادلها فيما بينها، فكل حضارة تأخذ من أصول وروافد حضارة سابقة، وقد دعا القرآن الكريم إلى المشي في الأرض والتفكير في صنع الخالق لقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَدِّبِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية 137. وفي هاته الآية دعوة إلى السير في الأرض والتسلّح بالنظر الدقيق للأشياء واستخلاص العبر والدروس، وكذا تصحيح العقيدة والبحث عن السند الصحيح فقد كان الواحد منهم يسير في طلب الحديث مسيرة ليالٍ.

كما لا يخفى أنّ مسألة التفقّه في الدين يليها كل علم مفيد يسعى طالب العلم على ترسيخه كالنحو والبلاغة وما من شأنه يضيف معارف جديدة ويذكر ابن خلدون في مقدمته أنّها مهمة وضرورية في قوله: "لا بد لها منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ مباشرة الرحال"<sup>4</sup>، وكل ذلك أسهم في نسج الروابط بين أقطار العالم الإسلامي في مختلف فتراته التاريخية.

<sup>1</sup> الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص 245.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر 1983، ص 268.

<sup>3</sup> ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ص 81.

<sup>4</sup> عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1993، ص 464.

ب- رحلات سياسية: ظهرت نظرًا لاتساع الإطار الجغرافي وما يتطلبه ذلك من إرسال للوفود لتفقد الأقاليم، وتحصيل الخراج وتتضمّن:

- رحلات إدارية: يقوم بها الرحال بتكليف من الدولة كالذي يتعلق بنظام البريد.
- رحلات أمنية: أو ما يعرف بالحزّكة، تلتقي مع الرحلة في عنصر الانتقال والسفر وتختلف عنها من حيث الخطاب "خطاب السلطة المركزية الرسمي" أي ينجزها السلطان أو من ينوب عنه لتفقد الأقاليم، والقضاء على التمرد وهي ذات أهداف سياسية، اقتصادية وعسكرية.
- رحلات سفارية: وهي موجودة قديمًا، والتي كان يرسل أصحابها للقيام بسفارات ذات هدف سياسي كرحلة "الإكسير في فكاك الأسير" إذ دوّن صاحبها مشاهداته في سفارته لتخليص جماعة من الأسرى المسلمين في اسبانيا<sup>1</sup>.

ت- رحلات تجارية واقتصادية: وتعدّ أقدم الرحلات عبر التاريخ، ونظرًا لاتساع الأرض يتم التنقل إما بواسطة القوافل أو المراكب أو عن طريق البحر، نذكر منهم السيرافي رحلاته حيث يبدأ من الخليج الفارسي إلى المحيط الهندي وشرقًا إلى المحيط الهادي. أما السلع كانت عبارة عن الرقيق من الجرمان وسائر سكان أوروبا الذين يسمون الصقالبة، كما كانوا يحضرون من القسطنطينية ومن شبه جزيرة إيطاليا المعادن والمنسوجات بأنواعها، ويؤكّد لنا التاريخ أنّ الرحلات البرية والبحرية لم يكن أصحابها مؤرخين أو جغرافيين، وإنّما تجارًا، "إنّما معلومة تاريخية احتفظ لنا بها أبو زيد السيرافي في "سلسلة التواريخ" مؤداها أنّ رائد أدب الرحلات البحرية في العالم العربي وربما الإسلامي جميعه لم يكن عالمًا فلكيًا أو جغرافيًا، ولم يكن مؤرخًا أو سفيرًا أو أميرًا وإنّما كان تاجرًا من سيراف اسمه سليمان، اعتاد السفر إلى الهند والصين لجلب مختلف السلع التي تنتج أو تباع في هذه البلاد، وعرضها في أسواق الأقطار العربية"<sup>2</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من الرحلات في قوله تعالى: ﴿لِيَأْتِيَنَّكُمْ قُرَيْشٌ إِيَّالَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ سورة قريش الآية 1، 2. رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام في كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة، وهو يقصد التجارة القائمة على تبادل المنافع بين الناس، فكما هو معلوم أنّ أهل مكة المكرمة اتجهت أنظارهم إلى التجارة بحكم موقع مكة "بواد غير ذي زرع" كما قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام

<sup>1</sup> ينظر: علي إبراهيم كردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، ص 14.

<sup>2</sup> فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 98.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ  
فَجَعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ سورة إبراهيم  
الآية 37، فهذا الموقع جعلها منطلقاً للتجارة وأظهرت سورة قريش بوضوح رحلتها إلى الشام  
واليمن والتي جنت منها أرباحاً طائلة انعكست آثارها على أوضاعها الاقتصادية، بل قامت  
بتصدير الفئاض عن حاجتها إلى أطراف السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية والسواحل  
الإفريقية المقابلة<sup>1</sup>.

وهكذا نجد الرّحّالون تحدّثوا عن المنتجات كالتمور والحبوب، وتحدّثوا عن الحيوانات كالجمال  
والخيل، وتحدّثوا عن الأسعار والعملات المتداولة، وكذلك تحدّثوا عن المكتريات كالجمال  
وأحماؤها والمراكب وأسعارها والأسواق ومعروضاتها والضرائب التي يدفعها الرّحّالون عبر مناطق  
العبور.

**ث- الرحلة المغامراتية:** تكون لغرض الاستطلاع وهي خارجية، وقد اختلفت الأهداف منها،  
فمثلاً تكون مغامرة الغاية منها التعرّف على أنماط حياة المجتمعات المرتحل إليها، "والذي  
يسافر إلى الأماكن البعيدة يريد أن يعرف.. يريد أن يفهم.. يريد أن يرى الجانب الآخر من  
الجبل أو النهر أو من البحر.. والجانب الآخر من الإنسان وتجاربه من أجل الحياة والتقدم"<sup>2</sup>.  
وتكون نصوص رحلية استكشافية تعلن عن قصدها الاستكشافي منذ البداية، وتعتمد على  
الوصف المرتبط بالحياة اليومية، والصعوبات التي تواجهه في هذا النوع من الرحلات التي تبني  
أساساً على الرؤية المجردة للأشياء، فتأتي الصور يقينية أكثر منها احتمالية متجدّدة في الذاكرة،  
فتتحول الأوصاف إلى انطباعات وتأمّلات وإلى إخبار بحقائق عجيبة غير مألوفة.  
كما تعبر الرحلة المغامراتية عن جانب المتعة وحب المجهول، تجعلنا أمام تساؤلات مرتبطة  
بتطور الوعي لدى الجماعة البشرية<sup>3</sup>.

## 2- رحلات خيالية:

وهي لا تتأسس على الوجود الفيزيائي أو التجربة المعيشة في الواقع، فهي الذهنية التي تلمس  
عالمًا متخيلاً يصبوا إلى التأمل والتفكير، ومختلف المقولات التي " ترسم رحلة النفس في بحثها عن عالم

<sup>1</sup> عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين -دراسة تحليلية  
مقارنة- مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1996م، دط، ص 30.

<sup>2</sup> أنيس منصور، أعجب الرحلات في التاريخ، سلسلة جدران المعرفة 2006، مطابع الأهرام التجارية مصر، ج 1، ص 3.

<sup>3</sup> لمبروك أعمار، الفضاء المدني ودوره في التشكيل السردى -رحلة العبدري أمودجا- مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو،  
2013، ص 28.

آخر، وصولاً إلى المطلق والحقيقة واليقين للتطهر"<sup>1</sup> وهي ذات طابع استكشافي لكل ما هو أسمى، وتنحصر في نوعين:

أ- **الرحلات العمودية:** وتشمل رحلات المعارج والجنوح إلى عالم الغيب، وتصوّر مشاهد العذاب والنعيم ويتجلّى هذا في أدب القيامة الذي تناوله الباحثون، نجد منها كتاب التوهم للمحاسبي، وجانب آخر ارتحال تخيّلِي ورؤية مشاهد محاسبة الشعراء والأدباء كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري<sup>2</sup>. إنّها رحلات تتم في الزمان والمكان، تركز على مجموعة من الأحداث تنقل تصوّراً معيّنًا عن العالم الآخر وهي تنشأ من صراع الإنسان الدائم في فكرة الحياة والموت. ولعلّ الذي يقودنا إلى هذا التفكير هي الرحلة العمودية أو النموذج التي مهّدت لهذا النوع من الرحلات وهي متوارثة في العالم الإسلامي تتمثل في حادثة الإسراء والمعراج التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الإسراء الآية 1، وهي أول رحلة للعالم الآخر، بالإضافة إلى رحلات أخرى أخذت طابع الحلم كسمة أساسية وتجلّى فيها فكرة الوصول إلى الحضرة الإلهية كما عند "رسالة الطير لابن سينا، سير العباد إلى المعاد للنسائي الغزنوي، منطق الطير لفريد الدين العطار..." وتتمحور فكرتها حول الصعوبات التي يواجهها أصحابها في طريقهم إلى الله عز وجل، والوصول إلى مقام المشاهدة، فهذا النوع موجود منذ القدم فيظهر عند "فرجيل في الإنيادة ق 18/19 ق م" والفرس في قصة "إردورايف"<sup>3</sup>، واستمرت عند دانتي "الكوميديا الإلهية" التي تلتقي مع رسالة الغفران. وهذه الرحلات البعض منها موضوعي يرمي إلى مجاهدة النفس ومكابدة الصعاب لبلوغ الكمالات.

ب- **الرحلة الأفقية:** وهي موجودة قديماً وقد سارت مع الفنون الأخرى، وتصوّر ما يشاهده الرحالة من خلال الرحلة كالمسعودي (مروج الذهب) في رحلاته إلى المشرق، إفريقيا، آسيا، أوروبا الشرقية، وبالإضافة إلى كونه كتاباً في التاريخ في الجغرافيا، فهو كذلك رحلة موصوفة

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 29.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 29.

<sup>3</sup> طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، د ت، ص 138، 139.

إلى عالم تاريخ الإنسان والحضارة، ورحلة حي بن يقظان<sup>1</sup> وهي رحلة باتجاه الحلوة إلى عالم متخيّل كقصة تنتمي إلى الفكر الطوبائي\* وغرضها معرفي فلسفي، ترمي إلى إثبات قدرة الإنسان على الارتقاء في المعرفة من المحسوس إلى المعقول.

### 3- الرحلات الأسطورية

إنّ الأسطورة تتكوّن من مكونات ثقافية وفكرية عمومًا، ذات صلة بالإنسان، لا يمكن عزل تأثيرها عليه، بحيث أسهمت في تكوينه، وفي المنطقة العربية وجدت العديد منها: كرحلة جلجامش في البحث عن الخلود فقد سعى جلجامش في الرحلة الأولى إلى تخليد نفسه مع الأبطال الخالدين عبر القيام بالأعمال الجليلة التي تخدّ اسم صاحبها فتترك له اسمًا باقيًا على مرّ الأزمان<sup>2</sup>. ويدخل في هذا النوع صنفان:

أ- **رحلات النزول:** أي النزول إلى العالم السفلي كنزول "عشتار" لترى زوجها "تموز" بعد وفاته وبقائه في الجحيم المظلم في العالم السفلي. وكانت "أرشكجال" أخت عشتار هي التي تحكم مملكة "أرالو" الممتدة في أعماق الأرض، وهنا تبدأ رحلة "عشتار" في محاولاتها للنزول للعالم السفلي<sup>3</sup>. وكذلك هبوط آدم عليه السلام ونزوله من السماء إلى الأرض، من الخلد إلى الفناء فالسما والنعيمها يرمزان إلى قمة السعادة في حين ترمز الأرض إلى الشقاء والعمل والجهد وهي رحلة من الأعلى الذي يمثّل السمو والقدسية إلى الأسفل الذي يمثّل الدنوّ والدنس، بيد أنّ الرواية الإسلامية تجعل التقاء آدم بجواء في الأرض في عرفات مكان مقدّس.

ب- **رحلات الصعود:** وهي ذات دلالة دينية موجودة في المعتقد الإسلامي وهي ذات بعد واقعي (عيسى ابن مريم) لقد كان لهذه الأساطير تأثير على فكر إنسان المنطقة العربية، لما لها من القدسية، وقد تناولت وخاضت في موضوعات كمسائل الوجود والخلود وإمكانية الوصول إليهما واختراق المألوف فهي تزود الخيال العجائبي والغرائبي بمادة مؤسسة، تحمل دلالات كثيفة وعميقة، تجعل "من الرحلة عقيدة دينية مجهولة ولكن قدسيتها تثبت من خلال

<sup>1</sup> ابن سينا، ابن طفيل، السهروردي، تحقيق وتعليق أحمد أمين، دار الصدى للثقافة والنشر، طبعة 2005، ص 19 وما بعدها.

\* أصل الكلمة يوناني هو مفهوم فلسفي يطلق على المكان الذي يبدو كل شيء فيه مثاليًا ولا توجد فيه أي نوع من أنواع شرور المجتمع كالفقر والظلم والمرض.

<sup>2</sup> للتوسع ينظر: فراس السواح، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة دراسة شاملة مع النصوص الكاملة وإعداد درامي، دار علاء الدين، دمشق، ط 2، 2002.

<sup>3</sup> ينظر: سليمان مظهر، أساطير من الشرق، دار الشروق، ط 1، سنة 2000، ص 121.

الأساطير"<sup>1</sup>. وهذا يعني أنّ لها الدور الفعّال في صوغ فكر الإنسان عمومًا، نظرًا لتلك الدلالات التي يحتويها كمغامرة أولى للعقل البشري.

## الفصل الأول

---

<sup>1</sup> عمر بن عبد العزيز السيف، بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز، الانتشار العربي، لبنان، ط 1، 2009، ص 54.

## الفصل الأول:

### المفاهيم والمباني الدلالية للرحلة الدينية في الشعر الشعبي

أولاً: مفهوم شعر الرحلة

ثانياً: عناصر الرحلة في القصيدة الشعبية

ثالثاً: أنواع الرحلات في الشعر الشعبي

رابعاً: الرحلة الدينية في الشعر الشعبي السوفي

## تمهيد

إنّ الشعر الشعبي جزء من الشعر العربي الفصيح، وهو يخضع للشروط نفسها من حيث توفّر الأوزان والقافية ويحاكي الأسلوب ذاته في بناء القصيد وفي الوصف وفي المواضيع المتناولة، علاوة على ما في الشعر الشعبي من إيقاع موسيقي. وهو لم يأتي هكذا عبثاً وإنما يخضع لأنساق محدّدة تجعل منه عملاً أدبياً يتمّ تقبله باعتباره متوفّر على كل شروط الإقناع والإمتاع على مستوى الشكل والمضمون، فهو خطاب إبداعي متقدّم. فالشعر الشعبي ليس ومضات على هامش ثقافة المجتمع ويساهم فيه ومن ثمة كان هذا الأخير ذاكرة جماعية بما هو يؤرّخ وينقل التجربة، كما يعدّ مجال تعامل مع اللغة من حيث الحفظ والتثقيف والاشتقاق، كما يعتبر فن من حيث هو إبحار جمالي.

ومن ثمة فإنّ مكانة الشعر الشعبي تتعدّى مجرد طرفة في القول فيتجاوزها ليعبر عن مشاعر وهموم وأحلام وآمال الشعب وتناول قضايا الكبرى، وتمثيل أفكاره وكشف مستواه الثقافي والسلوكي والحضاري والاجتماعي... بلغة سهلة حبّبت للناس فيه وجعلتهم ينسجمون معه ويعلّون من شأنه ليصبح متعتهم الأولى خاصة في البيئات التي ترعرع فيها الأدب الشعبي.

وتعبير كل شاعر عن شيء ما يدور بخاطره يصنّف لنا الشعر إلى أغراض، فمنهم من يتحدّث عن عزيز وقريب متوفّي فيكون رثاء، ومنهم من يتحدّث عن محبوبته وما يجول بداخله من مشاعر فيكون غزل، ومنهم من يتحدّث عن رحلته إلى مكان ما وهدف ما فيكون غرض الرحلة في الشعر الشعبي وهو ما سنتطرّق إليه بالتفصيل فيما بعد، وهكذا تتعدّد الأغراض وهي لا تختلف عن أغراض الشعر الفصيح كثيراً.

ولعلّ الموضوع الرئيسي أو الغرض الذي يعيننا في هذا المقام هو "غرض الرحلة أو شعر الرحلة" فهو معروف ومنتشر في الأوساط الشعبية، ومنه فالإشكالات المطروحة هنا كالاتي: ما مفهوم الرحلة في الشعر الشعبي؟ وما مدى حضورها؟ وما هي عناصر الرحلة؟ وما هي أنواع الرحلات في الشعر الشعبي؟

### أولاً: مفهوم شعر الرحلة:

قبل التوغّل في الحديث عن شعر الرحلة لابدّ علينا أولاً التطرّق والحديث عن مفهوم الشعر الشعبي بصفة عامة ثم الحديث عن الرحلة كغرض بعد ذلك. فالرحلة عموماً تطرّقت إلينا في الفصل التمهيدي فهي تقريباً نفس الشيء في الأدب الفصيح وفي الأدب الشعبي من حيث معناها فكليهما يدلّ عن السفر الطريق والبعد وكلّ ما من شأنه يدلّ على الرحيل.

**\* مفهوم الشعر الشعبي:** "هو فن من الفنون الأدبية يعبر به الناظم عن حالة فردية أو مأساة اجتماعية، بلهجة خاصة توحى إلى رقعة جغرافية ما"<sup>1</sup>. فهو إبداع شفوي ويعدّ ذاكرة الأجيال المتعاقبة فهو يسجّل تاريخهم المليء بالأحداث والبطولات، فهو همزة وصل بين ماضيهم ومستقبلهم القائم على قيم الماضي، وهنا تتجلى فكرة "التوارث"، وقد سائر الشعر الشعبي الأجيال وواكبها، وحافظ على مضمونه وشكله الأساسيين.

والشعر الشعبي نابع من وجدان شعبي معبّر عن ذاته ملازمًا له في يومياته أصبح بذلك لسانه ومرآته العاكسة له، ومعلمًا من معالم ثقافته، فهو وسيلة عميقة التأثير يصوّر جميع نواحي الحياة الصغيرة منها والكبيرة، من بين هذه الأشياء التي يصوّرها الرحلات التي يقوم بها الشعراء أو يتخيّلونها، وهنا تصبح الرحلة كغرض من أغراض الشعر الشعبي.

شعر الرحلة ويسمّى أيضا شعر الطريق ويعرّفه محمد المرزوقي كما يلي: "ومن أغراض الشعر الملحون شعر الرحلات ذلك الشعر الذي يصف فيه الشاعر رحلة من مكان إلى آخر، فيذكر الطريق

<sup>1</sup> نبيلة سنجاق، الشعر الشعبي ونداءات الحداثة، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، د ط، د ت، ص 133.

وما فيه أو فيما يجاوره من معالم، ويعمد أحياناً إلى وصف تلك المعالم من مياه وأودية ورواب ورمال وجبال، وما في هذا كله من أشجار وأعشاب إذا كانت الرحلة صحراوية<sup>1</sup>.

أما إذا كان الطريق يخرق المدن والأرياف، فإنّ الشاعر يصف لنا هذه القرى والبلدان التي يمر بها في طريقه ويلتفت أحياناً إلى ما يعترض نظره في البلدان من معالم ظاهرة أو شهيرة عند الناس. وهذا النوع غالباً ما يبدوونه بالغزل أو يمزج به مزجاً، فيذكر الشاعر مثلاً شوقه للحبيبة البعيدة ذاكراً طول الطريق بينهما أو صعوبته، متمنياً أن يركب راحلة سريعة ليقطع بها ذلك الطريق، ثم يصفه لنا بمعامله حتى يصل إلى المكان المقصود<sup>2</sup>.

والنظم في هذا الباب كثير تقتصر منه على قصيدة من أشهر قصائد الرحلة في وادي سوف يصف فيها الشاعر رحلته إلى بلدته، بعد أن نفذ صبره، ولا ندرى ما إذا كانت الرحلة حقيقية أو خيالية، لكن الشاعر يستهلها بتحويل المسافة والأراضي والأوعار التي تفصل بينه وبين المحبوب، ثم اختيار المهري التارقي على عادة شعراء المناطق الصحراوية ويأخذ في وصف هذا المهري واختيار الصور من أجل تشبيهه مرة بالباخرة وأخرى بالسحابة وهكذا... ثم تعداد وذكر أسماء الأماكن التي يعبرها أو يمر بها من المكان الذي انطلق منه إلى أن يصل قريته الخبنة.

يقول الشاعر علي بن لعوينية الشامسي\* (النص الثاني):

رَمَلِ الْكَدَّةَ شَيْنَ أَوْهَامِ	دُونِ رِيْدِي كَا حِلِّ لَنْظَارِ
اللِّي بِيهَا عَيْنِي حَالَمِ	دَمْعُهُ تَسْكِبْ مَ لَشْفَارِ
رَمَلِ الْكَدَّةَ شَيْنَ غُرُودِ	بَرِّ خَالِي وَمَجَايِبِ سُودِ
مَا نَعْرِفْ لَهُ فَنِينُ قُصُودِ	بَرِّ خَالِي لَا فِيهِ عَمَارِ

ويضيف المرزوقي أنّ شعر ولد في العصور المتأخرة عند قيام الخصومات بين القبائل أو البلدان المتجاورة يعمد فيه الشاعر إلى ذكر معالم الحدود بين الأرضين معلماً معلماً، من مبتدأ الأرض إلى منتهاها، بل أنّ بعضهم نظم شعراً عجباً استطاع أن يذكر لنا فيه معالم متتابعة من الحدود بين

<sup>1</sup> محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، 1967، د ط، ص 175، 176.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 175، 176.

\* ولد علي بن عبد القادر بن لعوينية الشامسي في ضواحي بلدة الرباح أواسط القرن التاسع عشر للميلاد. وهو من قبيلة الشوامس، عاش الشاعر طفولته وشبابه في البوادي الجنوبية وكان يستقر في بلدة الخبنة، حيث تزوج ورحل إلى الأراضي التونسية قصد كسب العيش، توفي حوالي سنة 1955م. ينظر: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2006، ج 1، ص 100.

دولتين، ويرجع في تأكيده لتلك المعالم إلى معلومات قديمة موروثه عن الأولين وهو يدعمها في شعره بالحجج والبيانات.

وبالتالي تكون في بعض الأحيان القصيدة بمثابة الخريطة الجغرافية التي تبرز لنا أهم المناطق التي يتقصد الشاعر ذكرها عندما يكون الهدف كما ذكرنا لفكّ الحُصومات بين القبائل، أو يذكرها هكذا تلقائياً عندما يصف لنا رحلته، وهذا نلاحظه خاصة عند شعراء البوادي فغالباً ما تكون الأماكن التي يذكرونها إما بئر أو نبع يمرّون به، وغالباً ما ينزلون عندهم كما هو معروف عن أهل البادية كرم الضيافة.

ومن القصائد التي نجد فيها ذكر للمناطق التي يمرّ بها الرّحال قصيدة بشير الحداد<sup>1</sup> الذي أكثر من وصف البادية ومواضعها، من ذلك قوله (النّص الثالث):

جَائِيكَ مُتَعَنِّي	وَعِنْدِكَ كِلَامُ الْقَوْلِ رُدِّي عَنِّي
عَقْلِي سَرَحَ وَالْقَلْبَ عَادَ يَغْنِي	تَفَكَّرْتُ رَاقُ الرَّجْمِ بِنْتِ هُدَيْةٍ <sup>2</sup>
فَكِيكِرُ مَاخِي بُزْمَلْتَهُ مُقَابِلِي	شَيْخُ الْغَيْطَانِ مُحَوَّمَةٌ شَرْقِيَّةٍ <sup>3</sup>
وُئِيوتُ فِي مَرْقَبِ ذِيَابِ الْعَالِي	شُفَيْشِ هَا لِيَّامَ خَرَّتْ بِي <sup>4</sup>

في حين نجد الأستاذ محي الدين خريف يسمي شعر الرحلة "وصف السراب" والسراب هو ما يشاهد في الصحراء منتصف النهار مع اشتداد الحرّ كأنه ماء ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ سورة النور الآية 39، ثمّ يضع مرادفاً لذلك "الضحضاح". والضحضاح تعني في اللغة: "الماء إلى الكعبين، أو إلى أنصاف السّوق. والضحضحة والتضحضح: جري السراب وتلعله"<sup>5</sup>.

"والضحضاح هو السراب، والصحراء المنبسطة الشاسعة، وهو في قصائد الشعراء طويل، عريض، مظلم، واسع، خلّاء، موحش، يغشاها الغيم"<sup>6</sup>. وهذه اللفظة تبنى عليها العديد من القصائد

<sup>1</sup> ولد بشير بن يوسف المعروف بشير الحداد من قبيلة أولاد حجاج عام 1905 في قرية تكسبت حيث كانت قبيلته أولاد حجاج تقيم شتاءها قبل أن ترتحل إلى البوادي الشمالية والشمالية الشرقية ترتاد مواطن النجعة، وترتحل عبر أراضي شاسعة تمتد إلى أطراف الأطلس الصحراوي شمالاً وإلى الأراضي التونسية شرقاً حيث كانوا يقضون ربيعهم وصيفهم قبل أن يعودوا أواخر الخريف إلى مشتاهم في الحاضرة، وهكذا قضى الشاعر شبابه وشطراً من كهولته في البادية وتعرف عليها موضعاً موضعاً، وفي شعره يسهب في ذكرها وتعدادها. توفي الشاعر سنة 2000. ينظر: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2013، ج 4، ص 46.

<sup>2</sup> راق الرجم وبنت هدية: موضعان في البوادي الشمالية.

<sup>3</sup> فكيكير: موضع في البادية.

<sup>4</sup> مرقب ذياب: موضع.

<sup>5</sup> معجم العين، ج 3، ص 13.

<sup>6</sup> العيدي بلغيث، الرحلة في الشعر الشعبي، مكتبة علاء الدين، صفاقص، ط 1، مارس 2003، ص 14.

أي يتدئ الشاعر قصيدته بكلمة "ضحضاح" ومعناها المفازة البعيدة المخيفة، وجرت عادتهم أن يصفوا هذه المفازة وبعدها ووعورة مسالكها، هذه الأرض الوعرة الواسعة التي حالت بينهم وبين الحبيبة، والتي لا يقدر على قطعها إلا فرس متين سريع نشيط كثير الصبر على العراقيل والمطبات، وبطل مغوار، وقد تختلف الوسيلة الممتطاة من شاعر إلى آخر فقد تكون رحلة بواسطة جمل أو سيارة أو طائرة أو قطار...

وفي هذا يقول الشاعر علي بالذيب الحميدي\* قصيدة الضحضاح (النص الرابع):

وَجَا دُونَ مِنْ تَلْبَسِ الْجِرْدِ هَافِي	شَهْرَ مَشِي	ضَحْضَاحٌ لَا فِيهِ جُرَّةٌ وَلَا فِي
وَمِنبِي عَلَى شَافَةِ الرَّمْلِ جَبَّةٌ	حَفِي شَيْنٌ كَدَّةٌ	ضَحْضَاحٌ وَيَا مَاوَسَعَهُ شَيْنٌ رِدَّةٌ
وَفِي العُمُرِ لَا نُوبَةَ الحَرِّ غَبِي	عَنْ يَدِهِ تَرَبِّي	يُزُورُهَا وَلَدٌ مِنْ فُوقٍ مَدُوبٌ دَبَّةٌ
سَكَنَ دَاهُ بَيْنَ الهَايِدِ تَرَبِّي	شَرَقَ زَادُ حُبَّةٌ	يَعْنَى قِدا اللَاتِنِي بِهِذِبُ شَبَّةٌ
وَمَبْهُورٌ بِالسَّنْبِلِي وَالْمَعْبِي	مَصَالِبِ صَبَّةٌ	يَبَانُ الشَّعْرَ عَنْ تَرَاقِيهِ جَبِي

\* ولد الشاعر علي بالذيب في البادية الجنوبية الشرقية لمنطقة سوف، حوالي سنة 1860 وهو من قبيلة أولاد حميد، عاش حياته بين الحل والترحال لكنه استقر أخيراً في بلدة البياضة، وعاصر بعض الأحداث التاريخية التي مرت بالمنطقة مثل هدة عميش 1918، توفي الشاعر سنة 1930. ينظر: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 52.

## ثانياً: عناصر الرحلة في القصيدة الشعبية

يحتل ديوان الشعر الشعبي بقصائد الرحلات إذ تتعدد الأسباب وتتنوع الوسائل وتختلف الصياغات الفنية مما يعطي غرض الرحلة أهمية ومكانة وسمة خاصة. وحتى يكون نص الرحلة في المستوى المطلوب لا بد من عناصر ثابتة يجب أن تتوفر في القصيدة، وقد يقع الكثير من الشعراء في السهو عنها، فهي ضرورة نذكر على سبيل المثال: دوافع الرحلة يذكرها الشاعر في القصيدة مباشرة أو تفهم من سياق النص، وكذلك وسيلة التنقل وهي أيضاً تذكر سواء سياراً أو جمل أو خيل وما إلى ذلك، وكذلك الزاد أو المؤونة، ووصف كل ما يشد انتباه الرحالة أو الشاعر، كل هذا سنتطرق إليه بالتفصيل. ولعل أهم العناصر وهي السبب أو الدافع من وراء هذه الرحلة والشاعر يذكر الدافع غالباً مباشرة أو يعبر عنه الشاعر بالتلميح:

**1- دوافع الرحلة:** يكون سبب الرحلة لعدة أغراض مثل الالتحاق بحبيبة طال غيابها أو الرجوع إليها من بعد غياب، فيتحدث الشاعر عن الشوق وطول الغياب والمعاناة من جراء هذا الفراق الصعب، وهنا لا بد أن نشير إلى أنّ الشاعر يكون هو صاحب القصة أو هو يروي لنا أحداث قصة واقعة فعلاً أو يتخيّلها الشاعر وهذا سنتحدث عنه فيما بعد بالتفصيل. وهذا الفراق يكون بسبب زواجها مرغمة من ابن عمّها أو رجل آخر، أو يكون الشاعر أو من يصفه هو الذي أرغم على الابتعاد لأسباب وظروف معيّنة، ثم يبدأ بالتمني للعودة أو الذهاب إلى ديار تلك الحبيبة ليشفي وينهي آلامه وأوجاعه واشتياقه.

وقد اخترنا قصيدة للشاعر محمد الصالح بن علي وهي بعنوان "وناسة والفارس علال" وهي قصة واقعية يصف فيها الشاعر رحلة البطل للمحبوبة بعد أن تزوجت مغصوبة من أحد لا تحبه.

يقول الشاعر (النص الخامس):

وناسة والفارس علال

رَاحَتْ مَشَتْ زَوَّالَهَا غَابَ صَاقِلِ النَّابِ مَا خَلَّتْ مَسَالَهُ مَا خَلَّتْ جَوَابِ

رَاحَتْ مَشَتْ ثَابِتٌ أَكِيدُ مَا عَادَتْ طِمِيعَهُ تُشُوفُهَا لَعِيَانُ

رَاحَتْ إِطْوَحَتْ غَادِي بَعِيدَ  
مَسَافَاتِ دُونِهَا وَاعْرَةَ وَتَكِيدَ  
نَسُومَ رِيحَهَا تُفُولِشِي مَا كَانَ  
عَ اللَّيِّ رَاكِبَ وَاللِّي قَصَدَ مَشِيَانُ

في هذه القصيدة نلاحظ الدافع والسبب في الرحلة واضح وكذلك فيها وصف للخيل والفراس وما إلى ذلك من تحدّي وصعوبات للظفر بالحبيبة. ونلاحظ في نهاية القصيدة فكرة عبّر عنها الشاعر وهي استسلام العاشق ورجوعه مخذولاً لا لأنّه فاشل أو ضعيف فهو وصل لمن يريد لكن خوفه من يوم الحساب، وقيام الفتن بين القبيلتين وليس كل ما أراده الإنسان فهو من حقّه. وهنا ك عنصر آخر يتفاوت الشعراء في التركيز عليه وهو وصف الحبيبة وصفاً قد يجعل السامع يشاطره الرأي حيث يظهر له صورة الحبيبة في أروع ما يكون حتى أن بعض النقاد انتقدوا ما يصل إليه بعض الشعراء في وصف الحبيبة بأنه مجردها للسامع ويقدمها عارية. وخاصة عندما يشرع في وصف المفاتن في جسدها، وهذا غير موجود في قصيدة "وناسة والفراس علال" نجد أنّ الشاعر لم يركّز عليها، وهذا الوصف غالباً يكون تابع لشدة الألم والفراق والاشتياق واللوعة، أي أثناء وصف الرحلة والمسافات والمركوب يصف الشاعر الحبيبة التي قام بكل هذا من أجلها. وهامو الشاعر الساسي حمادي<sup>1</sup> يقدم أوصاف الفتاة الجميلة التي يسعى البطل في القصيدة الظفر بها في قصيدته التي مطلعها: "قصة حب في الصحراء" يقول الشاعر:

سبب دَائِي مِنْ سَمْرِهِ كَحِيلِ هَذُوبِهِ  
الْقَدِّ سَرُو اللَّيِّ زَهِي فِي سَهْوِهِ  
وَالجُوفِ ظَامِرُ شَاحِبِهِ مَرْكُوبِهِ  
الرُّقْبَةِ عَنَاقِ اللَّيْمِ فِي الرُّقُوبِهِ  
الْقُصَّةِ هَفَّتْ عَنْ حَاجِبِكَ مَصْلُوبِهِ  
لِحُدُودِ بَرَقِ اللَّيِّ لَعَجَ بِشُبُوبِهِ  
بَسْمَاتٍ وَاتَتْ شَفَّةَ الْمَحْجُوبِهِ  
سُودَ الْحَجَا أُمَ الْعِشِيثِ طُوبِيلِ  
طَالَعُ مُسَقَّمِ بَانَ عَالِي إِمِيلِ  
فِي عَائِطِهِ يَوْمَ مَقْتَلِهِ وَقَتِيلِ  
فِي بَرِّ خَالِي الْوَحْيِ فِيهِ قَلِيلِ  
وَجِبِينَ قَمْرِهِ فِي أَوْسَاطِ اللَّيْلِ  
وَالخَشْمِ بُرْنِي فِي سَمَاهِ إِمِيلِ  
وَأَنْيَابِ جُوهَرٍ يَشْبَهُ تَمَثِيلِ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> هو الساسي بن إبراهيم بن علي بن حمادي، ولد صيف 1930 بمنطقة دوار الماء، فهو من عرش المصاعبة فرقة العزازلة ومن عائلة بدوية، وافته المنية يوم الجمعة 25 جويلية 1997م عن عمر يناهز 67 سنة.

<sup>2</sup> محمد الصالح بن علي وحمادي محمد نافع، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2006، ص 101.

وقد يكون دافع الرحلة ديني كالحج وزيارة البقاع المقدّسة وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، أو زيارة الأولياء وغيرها من المعتقدات الدينية وهو ما سنفضّله في المبحث الموالي.

وقد يكون سبب ودافع الرحلة اقتصادي أي للتجارة وتبادل السلع والبضائع فالبضائع البدوية ترتحل فيقضون ستة أشهر في البادية وستة أشهر في الحاضرة، وهناك بعض القبائل يضاعفون السنة فيمكنون في البادية لسنتين متتاليتين يتبادلون البضائع مع جيرانهم في المناطق المجاورة.

وكذلك هناك دافع مهم للرحلة وهو العلاج والتداوي، فنحن جميعاً نعلم أنّ أهل المريض يتنقلون به إلى أي مكان ويتحمّلون متاعب السفر أو مصاريف العلاج مقابل شفاء أحد أفراد العائلة المصاب بداء معيّن، فهنا نجد الرحلة جليّة ولها مكانة بارزة حيث يسمع أهل المريض عن طبيب أو راقي أو صاحب خبرة في مجال معيّن يسارعون بالسفر إليه، ومثال ذلك:

- النار: تعتبر النار أحد العناصر الأساسية عند البدو بصورة عامة، فتستخدم عادة لإرشاد القوافل أثناء ترحالها ليلاً، ووسيلة للتدفئة والطهي. وقد كشفت المعلومات عن تعدّد العلاجات بواسطة النار، فقد ورد في حديث أحد الشيوخ بأنّ "النار دواء" فالكيّ هو أحد الممارسات الشائعة والناجعة، إلّا أنّ الملاحظ هو وجود متخصصّين في منطقة وادي سوف لهذا النوع من العلاج، فقبيلة "الشواشين" معروفة عند البدو بتخصّصها في هذا المجال ويقصدونها من مختلف النواحي. أمّا عن الأداة التي تستخدم للكي تسمّى "الطباع"\*، ومن الأمراض التي تستدعي الكي "عرق النسا"<sup>1</sup>. وكما ذكرنا صاحب هاته الخبرة يرحل إليه العديد من المرضى من عدّة مناطق.

- السحر: إنّ السحر هو استخدام بعض المواد وإجراء بعض الطقوس والتعاويد لتحقيق أهداف وأغراض معيّنة بوسائل لا تخضع للضبط. ويعتبر السحر من بين المعتقدات دائمة الحضور في تفسير الأمراض وخاصّة الأمراض التي تلي المناسبات كالزواج أو الرفاة المادي وكل ما من شأنه يحرّك البخل والغيرة والحسد في نفوس أعداء المريض ويكون ذلك عند الساحر، فالأمراض العقلية والعقم... يعتقدون أنّها تعود إلى أعمال سحرية وتعالج عندهم بأعمال سحرية كذلك، وينسبون هذه الأعمال إلى الأشخاص الذين يتحكمون في الجن مثل: الطالب<sup>2</sup>، والشوافة<sup>1</sup>، والعزّام<sup>2</sup>، والتقازة<sup>3</sup>، وهي كما

\* هو قضيب من الحديد، طوله حوالي 15 سم، مثني الرأس، به مقبض من خشب.

<sup>1</sup> ينظر: الأزهر ضيف، البيئة والمجتمع دراسة تحليلية للصحة والمرض في منطقة وادي سوف، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، ط 1، 2010، ص 125.

<sup>2</sup> هو الرجل الذي يكتب الأحجية والتمايم ويعتمد في ذلك على القرآن الكريم، يقصده الناس ليكتب لهم حجاب التحصين من شر الجن والإنس، كما يقوم بعلاج بعض الأمراض بالأعشاب والعقاقير.

ذكرنا تستخدم للأذى وللعلاج وأصحاب هاته الأعمال لا يتواجدون في كل المناطق وبالتالي يستدعي الوصول إليهم التنقل والرحلة إلى أصحاب هذا المجال إما للأذى وإما للعلاج<sup>4</sup>.

وهناك العديد من الأمراض الأخرى التي كانت منتشرة في المنطقة وتستدعي سفر وتنقل ذويهم إلى الأماكن التي يجدون فيها العلاج.

ومن دوافع الرحلة أيضا نجد النجعة وهناك العديد من الشعراء يخصصون لها قصائد كاملة، ونعني بقصائد النجعة القصائد التي تصف ارتحال النجوع إلى الأراضي الخصبة منتجعين أعشابها منتقلين إليها بالمحبة. وفي هذا الغرض اعتاد الشعراء أن يتدثروا قصائدهم بمثل قولهم "رحل نجع فلانة" وخير مثال على ذلك قصيدة الصغير قدور\* التي مطلعها:

رحل نجع مبروكة كحيل أنظاره فرث نزلته وخلي بلايص دارة<sup>5</sup>

وهي مطلع قصيدة قالها وهو يشايح النجع الذي كانت فيه الفتاة "مبروكة" التي تعلق بها قلبه، وتأثر برحيل النجع وذكرها في بعض أشعاره.

وفي قصيدة أخرى يقول:

رحل نجع العطرة ونزل رحل صيف ظهرة لغفل<sup>6</sup>

ويتم في هذا النوع وصف المطر وضياء البرق وأصوات الرعود وأثر المطر في الأرض، والسيول في الشعاب والأودية ومنظر الأرض بعد ذلك وفرحة الإنسان والحيوان. كما أنهم لا يقفون عند هذا الحد بل يتجاوزون ذلك أحيانا إلى وصف ما ينتج عن المطر من أعشاب قد يعددون أسماءها، وازدهار الأشجار والزرع، ورحيل الأحياء "النجوع" إلى الأراضي الممطرة ووصف خيامهم وأنعامهم ونساءهم...

يقول الشاعر أحمد بن سعود دويم (النص السادس):

نجع العرب مطانة حيفانه أعطيه المطر والنصر من مولانا

<sup>1</sup> هي تلك المرأة التي تدعي علم الغيب وترى ذلك في شيء معين، منهن من تقرأ في راحة اليد، كما قد تعالج بعض الأمراض عن طريق العقاقير والأعشاب.

<sup>2</sup> هو طالب يكتب بالقرآن ويزيد على ذلك العزيمة التي يستعمل فيها تجميد الماء أو الذبائح لتثبيتها وإبطال السحر.

<sup>3</sup> هي المرأة التي تقرأ الطالع أو المستقبل كما يعتقد بعض الناس في الورق، وتكون هذه المرأة ملمة بأحوال الناس واحتياجاتهم لخبرتها الطويلة بالحياة وبما يفتقر إليه الناس من كلام جميل ومتفائل، واعتمادهم على القدرية في قضاء حوائجهم.

<sup>4</sup> ينظر: ثريا التيجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري وادي سوف نموذجاً، دار هومه، د ط، د ت، ص 44.

\* الصغير بن علي بن جموعه قدوري الحجاجي، ولد في الوادي 1924، يرتحل إلى البادية الشمالية حيث تقيم نجوع أولاد حجاج.

<sup>5</sup> من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي (مخطوطات).

<sup>6</sup> المصدر نفسه.

نَجْعِ الْعَرَبِ وَاجْحَافَهُ      وَنَجْعِ الْعَرَبِ هَسَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَافُهُ  
لَقَاهُ الْعَشْبُ مِتْخَالَفَاتٍ أَوْصَافَهُ      غَقِيفَةً وَلَمَصْ وَحَارَةً وَرَبِيَانَهُ  
هَسَّتْ عُيُونُ الْحَيِّ رَدُّ أَرْيَافَهُ      حُنُوتٌ يَغْشِي شَرَّعُو بِيَانَهُ

هذا فيما يخصّ انتقال أهل البادية في حدّ ذاتهم من مكان إلى آخر منتجعين مواطن الماء والكأ، إذ كلّمَا شَح ونفذ الماء والكأ رحلوا من ذلك المكان باحثين عن مكان آخر يتوفّر على شروط العيش لهم ولأنعامهم.

وهناك نجعة أو رحيل مختلف نوعًا ما عن النجعة السابقة، وهي انتقال أهل القرية إلى البادية ولها عادات وتقاليد في النجعة والانتقال من مكان إلى آخر، والأغلبية الساحقة منهم كانت تقسّم العام إلى نصفين، فتقضي ستة أشهر في القرية، وستة أشهر في البادية، متنقّلة بين مراعيها ومياها المتباعدة، فالقرية لها الصيف والخريف وفيهما مواسم الحبوب الغلال، وعلى الأخصّ التمر. وللبادية الشتاء والربيع وهم موسما ولادة الغنم والإبل، والبن، والسمن، والصوف، والصيد...

نلاحظ في هذه القسمة حسن التدبير فالبدو يستفيد من ثمار القرية وظلال جدرانها، وبرودة مياها صيفًا وخريفًا، كما لا يترك الإشراف عن إبله وغنمه واستدرار ما نغدقه عليه من لبن ومنتجاته، والاستمتاع بخيرات البادية من صيد وحشائش شتاءً وربيعًا<sup>1</sup>.

**2- وصف المركوب أو وسيلة التنقل:** تختلف وسائل التنقل من رحلة إلى أخرى فلكل زمن وسائله ومتطلّباته، فقد تكون خيل أو جمل هذا قديمًا وفي الوقت الحالي فتكون طائرة أو باخرة أو قطار وسنوجّل الحديث عن الرحلة بالوسائل الحديثة إلى مبحث آخر قادم. وفي هذا المقام نركّز على الوسيلة الأولى القديمة وهي الخيل أو الجمل، وغالبًا ما يتوفّر وصفهما في قصائد النجعة أو الضحضاح، كما أنّ حضورها ضروري أيضا في قصائد الرحلة الأخرى فهي تعتبر أحد العناصر المهمّة في قصائد الرحلة.

عندما تحدّثنا عن الضحضاح عرفنا كيف أنّ الشاعر يتحدّث عن أماكن ومسافات بعيدة وموحشة ومظلمة ولا يجتازها إلّا فارس أو بطل مغوار دامي، له شجاعة وذكاء وحسن تدبير فيستطيع عبور الجبال والصحاري، دون أن ننسى الخيل و المهري اللذان يتمتّعان بالسرعة والنشاط والصبر وتحمل الصعاب والعراقل. كما يصف الشاعر ما يتعلّق بالمركوب من صفات أخرى كاللون والطول والفصيولة وهكذا. ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ الخيل يغلب استغلاله في المناطق التي تبدأ فيها الجبال

<sup>1</sup> محمد المرزوقي، مع البدو في حلّهم وترحالهم، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط 2، 1984، ص 105.

أي في حدود تبسة والمناطق المجاورة لها، وبالتالي النماذج التي سنوردها تصف المهري أي الجمل لأنّه الحيوان المعروف والمستغل في منطقة وادي سوف فأهل البدو يهتمون بهذا الحيوان ويستفيدون من كل شيء منه، من بينها أنهم اعتبروه وسيلة النقل الأولى قديماً.

وفي هذه القطعة من قصيدة قصة حب في البادية للشاعر الشعبي الساسي حمادي الذي وصف لنا الجمل القوي وكيف أنّه يطوي الأرض طيّاً، الذي يجتاز الأرض الوعرة الخالية التي حالت بين البطل وبين محبوبته، ثمّ يصف راكبه بأجمل النعوت فهو البطل الذي يتلقّى الأهوال من أجل الظفر بجميلة النجع، يقول الشاعر:

يُرْوِزُهُ جَمَلٌ أَحْجَلٌ وَلَدٌ مَدُوبَةٌ	بَابَاهُ سُوفِيٍّ مِنْ خِيَارِ الصَّيْلِ <sup>1</sup>
عَامِينَ أُمَّهُ شَائِلَةٌ مَحْلُوبَةٌ	مَوْلَاهُ عَنَّهُ حَرَمٌ التِّشْمِيلِ <sup>2</sup>
تُرَبِّي مَعْقَى فِي وَطَى مَعشُوبَةٌ	وَصَلَ قَرَحٌ عُمُرُهُ تَامٌ بِالتَّكْمِيلِ <sup>3</sup>
تُرَبِّي مُدَلَّلٌ صَاحِبَةٌ فِي صُوبَةٍ	ذَاخِرٌ إِصْبِيَهْ فِي نَهَارِ الوَيْلِ <sup>4</sup>

هذا في وصف الجمل لونه وأصله وكيف أنّه تربّي على العشب... أمّا عن الفارس البطل فيكمل الشاعر قصيدته ويقول:

رِكْبَهُ وَلَدٌ يَجْتَازُ كُلَّ صُعُوبَةٍ	هَادِي حَيَاتَهُ لَجَلِ عُومِ الْجَيْلِ
عَازِمٌ فَصَمٌ سَقَّدَ دَخَلَ الْجُوبَةِ	نَاقِلٌ سَلَاحَهُ مِنْ جَعَبِ طُوبِئِ
لُرَبِّعَ رَجُلٍ إِدِيرَهَا فِي نُوبَةٍ	مُؤَاصِلٌ مُسِيرَهُ فِي نَهَارِ وِلِيلِ <sup>5</sup>

أمّا عن وصف الخيل، يقول الشاعر علي بن لعوينية الشامي:

دُونُ العُنْجَبَةِ	بُسَاطُ الخَلَا وَسُرِيرٌ يَرُوعِبُ فَجَّهْ
يُرْوِزُهَا وَلَدٌ رَاكِبٌ عَلَى بُوعَنْجَةٍ	طَقَّ الخَلْقَ وَالسَّرَّ عَنْ دَفَاتِهِ <sup>6</sup>

<sup>1</sup> جمل أحجل: أي ذو لون ذهبي محمّر وأرجل بيضاء، وهو الجمل المفضل عند البدو. الصيل: الأصل الربيع.

<sup>2</sup> وثى مدّة الرضاعة عامين، لأنّ صاحبه لم يضع الشمال على ثدي أمه، والشمال نسيج محكم يوضع على ثدي الناقة.

<sup>3</sup> قرح: أي تجاوز الحمل سن السابعة، إذ أنّه تربّي على الأعشاب حتى وصل السابعة من عمره.

<sup>4</sup> ينظر: محمد الصالح بن علي، محمد نافع حمادي، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، ص 102.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، 102.

<sup>6</sup> بو عنجة: حصان قوي. ينظر: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 101.

**3- الزاد أو المؤونة:** كما نجد في قصائد الرحلة عنصر آخر مهم وهو الزاد والمؤونة ويسمى أيضا في الشعر الشعبي بالعوين، والزيد هنا تعني زاد القائم بالرحلة وزاد المركوب، وقد يكون: تمرًا، الماء، الزميتة<sup>1</sup>، الجبن<sup>2</sup>، الدهان<sup>3</sup>، العصا احتراسا من أن يصادفه حيوان أو أي أحد يتعرض سبيله، السكين، الكبريت لإشعال النار للتدفئة أو للطهي. وفي هذا يقول الشاعر الهادي بن بلقاسم قسومة المعروف "الهادي بُسي":

صَلُّوْ عَلَي قَبْرِ التَّهَامِي	نِي نَحْلَم زَايِرُ فِي مَنَامِي
نَعَزَم فِي الْحَمِين	زَايِر لَمِين
مَسْتَمُّ لَا عِنْدِي تَخْمِيم	يَاللِي تَسْمَع قَوْل آمِين
زَادِي مَاهُوشِي بِاللَّدِينُ	قَرِبَهُ وَعَوِينُ

وفي نفس القصيدة يقول أيضا:

لَا عَازِمُ لَا عِنْدِي حِيلُهُ	زَايِر مَاشِيْلُهُ
مُخَمَّلُ لَا تَمَشُ تَعْطِيلُهُ <sup>4</sup>	زَادِي وَتَاوِيلُهُ

**4- وصف الطبيعة:** يصف الشعراء كل ما يشد الانتباه في الطريق سواء كان شيء متعلق بالنبات الموجود في تلك المنطقة أو حيوان أو طبيعة المناخ أو يصف طبيعة الأرض والتضاريس هناك خاصة عندما يكون يتحدث عن الفارس المغوار الذي يجتاز هذه الأرض مهما كانت صعبة وموحشة وخطيرة، ويصف أيضا القمر والشمس والمطر والبرق والرعد. وفي هذا نورد النموذج الآتي:

يقول الشاعر الشعبي الساسي حمادي في وصف طبيعة الأرض والحيوانات التي مرَّ بها البطل

في طريقه لمحبوته:

أَدْخَالَ وَاعْرَهُ فِيهَا الشَّجْرُ ظَلِيلُ	دُونَكَ مَجَابِبُ وَاسِعَةٌ وَكُرُوبَةٌ
فِيهَا السَّحَالِي وَالْفَنَكُ قَلِيلُ	فِيهَا الْغَزَالُ وَتَعْلَبَةٌ وَذِيُوبَةٌ
وَطَيْرُ لِحْبَارَةٍ وَطَيْرَةُ الْقَلِيلُ	طَيْرُ الرَّخْمِ تَلْقَاهُ نُوبَةٌ نُوبَةٌ
لُونَةٌ مُدْهَبٌ لِصَفُورَةٍ إِمِيلُ	وَالرَّمْلُ قَابِلُ حَفَّتَهُ مَنْصُوبَةٌ

<sup>1</sup> هي دقيق قمح أو شعير مقلي يضيفون إليه الماء أو الزيت.

<sup>2</sup> مصنوع من حليب الماعز بعد تجفيفه.

<sup>3</sup> هو السمن المستخلص من حليب الماشية بعد أن يصبح لبن وتنزع الزبدة منه ثم يضاف إليها بعض التوابل والدشيش وتطهى ثم يصمى منها الدهان بعد ذلك.

<sup>4</sup> من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي (مخطوطات).

غُرُودٌ عَالِيَةٌ مِتْكَسِكْسَهُ مَصْبُوبَةٌ  
مرتع غزال الرِّيمِ سُودٌ هُدُوبَةٌ  
فيه النعامَةُ رَاتِعُهُ فِي سَهْوَبَةٍ

مُحَالٌ تَقْطَعُهَا بِنَاتُ الْخَيْلِ  
تحت العَرِيشِ تَلْقَاهُ وَقْتِ مَقِيلِ  
من طَبَعِهَا لِلْوَطُو دِيمَةٌ تَمِيلُ<sup>1</sup>

أما عن ذكر المطر والبرق سنورد أبيات من قصيدة بشير حداد التي وصف فيها الصحراء

والنجم، يقول فيها:

رَفِيتُ فُوفَ الْعَالِي  
والنجم مطَانِبٌ وَسَعِيَهُ فَانِي  
السحب دَكَّكُمْ لِيلَهُ  
وَحَلَّى الصَّخْرَا بِالْعَشْبِ...؟

وَنَشَبِحُ شِنَاتِي لِابْسَاتِ حَوَالِي  
والرَّعد يضرب والبروقُ تُشَالِي  
والرَّعد يضرب برفٌ خَلْفُ سِيلَهُ  
رقم القطف النبتُ يَعْجَبُ زَيْتُهُ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمد الصالح بن علي، محمد نافع حمادي، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، ص 102.

<sup>2</sup> من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي (مخطوطات).

### ثالثاً: أنواع الرحلات في الشعر الشعبي

للرحلة مقاييس مختلفة تلاحظ وتستشف من خلال نص القصيدة، في كون الشاعر مثلاً عاش الرحلة فعلاً وأنه مرّ من ذلك الطريق سابقاً، أو أنه استوحى القصيدة من مخيلته الشعرية وهذا الجانب بالخصوص مهمّ فالذي عاش الرحلة وقام بها بنفسه يورد لنا جزئيات لا يتفطن لها إلا القليل، وأمّا الذي له معرفة بالطريق فتجده يوغل ويغوص في ذكر أسماء الأماكن ومميزات تلك المناطق أي يورد لنا كل ما من شأنه يدلّ على المعاينة والمعاشة. بينما المعتمد على خياله الشعري يمتنع ويجرّك إلى وصف جميل في جميع المراحل متحاشياً أسماء المناطق وإن ذكرها تكون بصفة سطحية مبتعداً ومتفادياً الغوص فيها وإن فصلّ فيها فهي من إنتاج الخيال، وهذا بديهي لمن لا دراية له بالأشياء. ومن هنا نستنتج أن للرحلة أنواع، نذكرها:

#### 1- الرحلات الخيالية:

وهي الرحلات التي يكون مسيطر عليها خيال الشاعر، فهو لم يقم بها فعلاً، وسمّيت بالرحلة الخيالية لأنه يصعب تحقيقها على أرض الواقع. هي رحلات من نسج الخيال، يتصوّر الشاعر أماكن خالية ومفازات شاسعة لا يقطعها إلا من توفّرت فيه شروط ومواصفات محدّدة، لا يقطعها إلا بطل راجلاً أو على ظهر حصان أو على مهري تتوفّر فيه شروط المركوب الأمثل.

يقول الشاعر الشعبي الساسي حمادي (النّص السابع):

قَشَعُ نَجْعِكَ رَاحَ هَزَ الفَجْرِيَهْ	خَالِي لَجْرَاحِ كَبْدِي مُوجِيَهْ
رَحَلْ نَجْعَ بُوَعَثْ يَنْهَالْ	وَالخُرْصَ عَن خَدِهَا مَالْ
وَعْيُونِهَا سُودُ تَكْحَالْ	وَسَوَالِفْ طَوَالْ
وَحُدُودِهَا وَرْدَ لَطَالْ	لَسَبَطْ رَقِيقَ لِعَصَابَهْ
وَبَسْمَاتْ وَاتَتْ أَنْيَابَهْ	رَمِشْتَهَا فَالْ
	وَحَوَاجِبْ تَمَثِيلْ هَالْ
	نُونِينْ أَجْمَلْ كِتَابَهْ
	لَاهُوشْ مَذْبَالْ
	وَالخِشْمَ لَأَ رِيْتَلَهْ مَثَالْ

نلاحظ في هذه القصيدة أنّ الشاعر يحكي لنا قصة المحبوبة التي رحل نجعها، وصوّر لنا كيف أنّ البطل يتخيّلها بتلك الأوصاف الجميلة التي فصلّ فيها الشاعر، ثمّ تحدّث الشاعر عن الأماكن الخالية المخيفة التي يقطعها البطل وهو راكب على جمل أصيل، إلى أن يصل إلى نجع المحبوبة ويحملها

معها خفية، وكأنّ الشاعر يتحدّث عن واقعة حقيقية وهي من صنع خياله، وهنا تكمن براعة الشعراء فعلاً إذ يغوص بك في متاهات القصة والبعد والرحلة إذ لا تعلم أنّها حقيقة أم خيال.

ومن الرحلات الخيالية أيضاً رؤيا المنام أي أنّ الشاعر يرى نفسه في رحلة معيّنة، وعندما يرويها الشاعر تبدو وكأنّها حقيقة، فهناك عدّة قصائد تقصّ المنام فعندنا الرحلة مثلاً ينظمها الشاعر وكأنّه قام بها وتجدر أنّ القصيدة تتوفّر فيها شروط وعناصر الرحلة، فهذه القصيدة التي بين أيدينا الآن يبدأها صاحبها بقوله: "ني نحلّم زاير في منامي"، ثمّ يتحدّث بعدها عن أوصاف وأشياء ومركوب وزاد ومشاعر لو أنّك لا ترى مطلع القصيدة تقول أنّها حقيقة وموضوع القصيدة هو وصف رحلة الحج في المنام. يقول الشاعر الهادي بسّي (النصّ الثامن):

صَلُّوْا عَن قَبْرِ التُّوَهَامِي	نِي نَحْلَمُ زَايِرُ فِي مَنَامِي
نَعَزِمُ فِي الْحَيْنِ	زَايِرُ لَمِينُ يَاللِّي تَسْمَعُ قَوْلَ آمِينِ
مُسَقَّمٌ لَأَعْنَدِي تَخْمِيمِ	نَعَزِمُ فِي الْحَيْنِ
زَادِي مَاهُوشِي بِاللَّذِينِ	قَرَبَهُ وَغَوِيْنِ
سَمَّحُ الرُّقْبَةُ وَالذَّرْعِينِ	عَن ظَهْرُ مَمْتِينِ

## 2- الرحلات الواقعية:

هي رحلات من مكان معروف إلى مكان آخر معروف، وهي وصف للطريق المسلوك وللمعالم التي يمرّ بها الشاعر وما تثيره في نفسه من مشاعر الحنين. وفيها أيضاً لوسيلة النقل دون إطناب ووصف عرضي للحبيب لأنّ الغزل غرض ضمني في هذا النوع من الرحلات ولأنّ الحنين إلى الأوطان وتحمل المشاق في الرجوع إليها هو حنين وشوق للأحبة في الوطن. وقد لا تكون الرحلة للمحبة كما ذكرنا سابقاً فدوافع الرحلة متعدّدة.

وفي الرحلة الواقعية يكثر الشاعر من ذكر الأماكن التي يمرّ في رحلته، وهو يربّتها كما هي على الخريطة، بل إنّ هذه القصائد تصلح فعلاً أن تكون خرائط للذين يمرّون على نفس الطرقات ويقطعون الفلوات ذاتها<sup>1</sup>.

وخير مثال على ذلك قصيدة قدور بالتومي في رحلته إلى الحج وهي حقيقية وكل ما ذكره كان قد مرّ به وشاهده (النصّ الأول).

<sup>1</sup> ينظر: العيدي بلغيث، الرحلة في الشعر الشعبي، ص 52.



يعدّ الدّين الإسلامي قاعدة وأساس كل النظم والعلاقات العامة في حياة المجتمع المسلم، ومرجع لضبط وتوجيه كل أنشطته مهما كان طابعها وتخصّصها، وإذا وصل الإنسان إلى هذه القناعة وملاً صدره بالإيمان وكان الثّقى لباسه والورع شيمته، انعكس ذلك في أقواله وأفعاله.

وهذا ما نجده في المجتمع السوفي بالتحديد حيث جلّ ثقافتهم مستمدّة من القيم الإسلامية فقد كان للمؤسّسات العلمية كالمساجد والكتّاب والأولياء والزوايا والمدارس دور في الإصلاح والحثّ على التمسك بالدين الإسلامي الحنيف، ومن بين الأمور التي سلّط عليها الضوء وتمّ الحثّ عنها هي الحج إلى البيت الله تعالى والرحلة في طلب العلم وهذا ما سيتجلّى في نصوص الرحلة عند شعراء سوف، ويلتمس هذا الشيء عند مخالطة فرد أو جماعة من أهل المنطقة، فذلك ظاهر كما ذكرنا سوى شعراً أو نثرًا، كما أنّهم كانوا يصفون صبغة إسلامية على بعض الأعمال التي يقومون بها لتكتسي طابعاً دينياً كالاعتقاد في الأولياء وغيرها من الطقوس.

ولقد كان الإنسان في منطقة وادي سوف كغيره ميّال للحركة والتنقل، ولعلّ الرحلة للحج هي أهم شيء يصبوا إليه، فلقد أصبحت مكة المكرمة منذ السنة الثامنة للهجرة القطب الذي يقصده الناس من جميع أطراف المعمورة بحكم أنّ الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام. فتقريباً لم تحظ مدينة على وجه الأرض بما حظيت به مكة المكرمة عاصمة الإسلام قصدها مئات الملايين من كل الأقطار خلال القرون يحجون إليها، ثمّ يعودون محمّلين بأجمل الذكريات منهم من يتحدّث عنها ومنهم من يكتب عنها من خلال ما تجول به أبصارهم يصفون معالمها ومشاعرهم والطريق إليها، وتعمّقوا ببصيرتهم يصفون روحانيتها والنور الذي ينبثق منها.

إنّ الرحلة إلى المقدّس تحمل معاني خفيّة لا تفهم من ظاهر الكلام، فهي تتضمّن انتقال من الرحلات الحياتية العادية المألوفة كرحلة الانتجاع التي تعدّ أمر طبيعي في الحياة اليومية المبنية أصلاً على الحلّ والترحال، إلى الرحلة الدينية المقدّسة فهي رحلة غير عادية، ففي داخلها وبين طياتها هي رحلة للخلود. أي الخلود ما بعد الموت ففي الرحلة الدينية نلاحظ عمق وبُعد في التفكير، للخلود في الجنّة والفوز في الحياة الآخرة، وبالتالي يعدّ هذا النوع من الرحلات هو الأسمى والأرفع والأرقى.

ففي هذا النوع من الرحلات يجنح الشاعر إلى الترفّع عن كلّ ملاهي الدنيا وعن كلّ ما هو مدّس يزجّ بالإنسان في دائرة المعاصي والآثام ويبعده عن المحامد والقيم التي تنصّ عليها سلطة المقدّس. فجاءت معظم قصائد الرحلات الدينية ثريّة بعبارات الاسترضاء، وتستعيد من المدّس وتحاول الاستشفاع بكلّ ماله حظوة كأضرحة الأولياء أو العبارات الشعائرية.

وتتجلّى قيمة هذا الشعور أي الحب الشديد للمقدّس والتضحية بالنفس من أجل الوصول لاسترضائه، في أنّ الشاعر يغامر ويخاطر بنفسه ويشدّ الرحال تقريباً لمُدّة عام وهو بين الجبال والصحاري وعرضة للخطر والأمراض في مقابل أنّه يحقّق الرحلة التي كان يتمنّاها طول العمر.

وبالتالي كان لشعراء وادي سوف رصيد معتبر من قصائد الرحلة الدينية سواء كانت للحج أو أي غرض ديني آخر، فكانت هاته القصائد ثريّة جدّاً بالاستغفار وذكر الله وتسبيحه وتوحيده، وفيها الدعاء والرجاء إلى الله، كما أنّها مليئة بالألفاظ والتراكيب الشعائرية. وهذا النموذج للشاعر قدور بالتومي إذ تعدّ هذه القصيدة الشهيرة التي تنشد باستمرار في مناسبة ذهاب الحجاج إلى حجاز أو استقبالهم أثناء عودتهم وهذه القصيدة التي يتمي فيها الشاعر ميمونة إلى بيت الله الحرام:

قَلْبِي شَوْرٌ شَاهِي نَعَزْمُ      قَاصِرٌ بَيْتَ اللَّهِ  
لِمَقَامِ الرَّسُولِ نُدَوْرٌ      زَمَزَمَ نَشْرَبُ مَاءَهُ<sup>1</sup>

هذا مقطع من قصيدة الحج وهي مطوّلة سنوردها بالتفصيل في الفصل التطبيقي.

ولقد تعدّدت القصائد التي تتحدّث عن رحلة الحج ولعلّ الموضوع واحد لكن هناك خصائص فنية تميّز شاعر عن شاعر أو قصيدة عن قصيدة أخرى هذا فضلاً عن الأداء والأسلوب، وهناك ميزة أخرى نلاحظ بأنّها تختلف من قصيدة إلى أخرى وهي أنّ جلّ القصائد تحتوي على عناصر الرحلة التي تحدّثنا عنها لكن الاختلاف يكون مثلاً في وسيلة النقل التي يمتطيها الشاعر، وفي هذا المقام سنورد نماذج متعدّدة لرحلة الحج وبوسائل نقل مختلفة فهناك من يصف الجمل ومنهم من يصف الباحرة ومنهم من يصف الطائرة وهي في الرحلات الحديثة. يقول قدور بالتومي في وصف الجمل:

نُودُكَ عَن سَاقِ مَثْنِي      وَمَخْرَطٌ لَزَمَ أَخْ  
مَدَلَّلَ مِن صُغْرِهِ مِتْهَيَّي      لَأَرِدَهُ فَمِي مُرَاخْ  
بِيهِ الْمُؤَلَّى كَمَلْ عَنِّي      جَلْبُوءُ الصُّلَاخْ  
ارْكَبْتَهُ وَاصْبَحْتُ مُؤَنِّي      مَع وَهَي السَّبَّاخِ<sup>2</sup>

وهذه قصيدة للشاعر الحاج سعد الوصيف<sup>3</sup> التي يصف فيها رحلته إلى البقاع المقدّسة عن

طريق البحر يقول فيها:

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 81.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 81، 82.

<sup>3</sup> ولد سعد بن نصر عتيق المعروف بالحاج سعد الوصيف في نزلة أولاد مياسة بلدية الرياح حوالي سنة 1896، من أصل إفريقي زنجي، توفي سنة 1982. ينظر: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 2، ص 100.

مِنْ الْمَرَسَى شَبِينَا لِحَدَّة  
 خَشِينَا سُـوَيْسٍ  
 يَمِيْتِيْزُ وَيَقِيْسُ  
 رَكْبَنَا وَالْوَالِي  
 هَبُّ الْبَحْرِي نَصْرُ يُوَالِي  
 وَيَنَّهُ سَيْدِي سَمَحُ زُوَالِهِ  
 رَكْبَنَا وَصَّالِيْنَا  
 فِي جَبَلٍ عَرَفَاتُ رَقِيْنَا  
 مِنْ السَّدْنُبِ نَجِيْنَا  
 رَأْنَا جِيْنَاكَ  
 طَفْنَا الْكَعْبَةَ وَالشُّبَّكَ  
 اقْتُلْنِي فِي رُضَاكَ  
 فِي لِأَحْرَهُ فِي عَلِيَيْنِ

وَرَائِسْنَا فِي الشَّوْ تُعَدِّي  
 خَشِينَا الْبَحْرُ وَيَقِيْسُ  
 حَزْقُولَهُ بُرَائِمُ فِي الْجِدَّة  
 رَكْبَنَا نِسْوَانُ وَرَجَالُهُ  
 شَرِيْفُ حَسْنِي مُحَمَّدُ جَدَّهُ  
 شِيخِي شَاوُ الرَّكْبُ تُعَدِّي  
 فِي لَرُضِ السَّمْحَةِ حَطِيْنَا  
 وَسَجَدْنَا فِي مَكَّةَ الْوُدَّة  
 وَمَنْ قَلْبِي تَتَنَحُّ الْكَدَّة  
 يَا مُحَمَّدُ زِيْنُ رُضَاكَ  
 وَسَجَدْنَا فِي مَكَّةَ الْوُدَّة  
 يَا لِمَنْوَرُ ضَاوِي خَدَّهُ  
 فِي فَرَاشَاتُ غُرْفُ وَسِدَّة<sup>1</sup>

هذا فيما يخص الرحلة إلى الحج بالسفينة من المرسى إلى جدة وكيف عبروا البحر ثم تحدث عن الطواف بالكعبة وصعود جبل عرفات وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه رحلة أخرى للحج لكن الشاعر يصف لنا وسيلة نقل أخرى ألا وهي الطائرة، يقول

الشاعر بشير الحداد:

عَازِمٌ قَدَا الرِّسُولِ قَلْبِي مُشَوِّقٌ  
 مَحْمَلٌ عَوِيْنِي مَا شِي  
 مَالِكُ عَظَامِ الشَّبْحِ مَا يَخْطَا شِي  
 وَطَلَعْتُ عَمَّا مِنْ جَمِيْعِ الْغَاشِي  
 اِرْكَبْتُ فِي السِّيَّارَةِ  
 وَخَشْتُ عَجَاجَ الْغَيْمِ مَالَهُ مَارَهُ  
 عَازِمٌ قَدَا الرِّسُولِ بَاغِي  
 بَسْبُورٌ كِي تَمِيْتَهُ

مَحْمَلٌ عَوِيْنِي وَالْقَطَاعُ مَتَوَّلٌ  
 وَحُبُّ سَبَقِ عَامِرٍ سَكَنُ فِي جَاشِي  
 مَنِينُ لَزْنِي الْمَكْتُوبُ ثُرْتُ نِسْوَقٌ  
 هَزِيْتُ بَسْبُورِي وَجِيْتُ مَدَوَّرٌ  
 وَبَدَلْتُ فِي كُرْسِي الْفِي الطِّيَّارَةِ  
 كَانُ السِّمَا أَرْزُقُ يَبَانُ مَدَوَّرٌ  
 عَطِيْتُ فَاتَحَهُ وَالرَّبِيْحُ مِنْهُ نَوَّلٌ  
 وَاللِّي سَبَقُ فِي الْجِيْنِ وَرِيْتَهُ

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 2، ص 101، 102.

وُطَامِعْ عَلَيْهِ اللهُ نَشْبِحُ بَيْتَهُ  
 وَرُؤَيْتُ مِنْ زَمْرَمٍ وَقَلْبِي رُؤَيْتَهُ  
 مَحْمَمٌ زَادِي  
 وَجَائِبُ كِلَامِ الثُّوَلِ فِيهِ نَفَادِي  
 وَكَثُرَتْ صَلَاتِي عَنْ نَبِينَا الْهَادِي  
 حَيَّتِيهِ دِيمَهُ  
 عَلِّي سِرْحَ الْعَقْلِ فَاتِ الْقِيَمَةِ  
 لِيَا وَصَلْتُ الرَّسُولَ صُبْتُ هَنَاتِي  
 صَلِيَتْ صَلَاتِي

إِبْرَاهِيمَ وَأَسْمَاعِيلَ لَا يَتَحَوَّلُ  
 لَا نَشْغُلُ بِالنَّاسِ لَا نَسْوَلُ  
 وَتَرَكْتُ زُوْرُتِي وَخُوتِي وَأَوْلَادِي  
 وَطَامِعْ عَلَى اللهِ لَا نَسْوَلُ  
 وَمَالِكَ مَعَالِقِ الْقَلْبِ لَا يَتَحَوَّلُ  
 بَابَا رُقَيْيَهُ وَعَايِشَ فِطِيمَهُ  
 وَخَاطِي عِظَامِ الْجَبْحِ فِيهَا نَسْوَلُ  
 لِي نَزَاعَهُ الْعَقْلَ لَا يَتَحَوَّلُ  
 وَخَرِيَتْ عَ الشَّبَاكَ طَلَبْتُ مَنْآتِي<sup>1</sup>

ومن الرحلات الدينية الأخرى زيارة الأولياء الصالحين والتبرك بهم، فمقاماتهم تنتشر على معظم أنحاء المعمورة، بين كل قرية وقرية إذ لا تكاد تخلوا من ولي أو شيخ، ويؤمن أهل سوف بأن الله واحد أحد إلا أنهم يؤمنون كذلك بالأولياء كوسطاء بينهم وبين الله، لذا فهم يلجؤون إليهم في كثير من المناسبات ويعتقدون أن لهم خوارق ومعجزات، ولا يختلف مقام الولي بالنسبة للمعتقدين فيه عن المسجد في القدسية كونه بيت الله على الأرض، ويكون التقرب إليهم واسترضائهم بالوفاء والنذور والذبائح التي أخذها الناس على عاتقهم. وبالتالي نجد العديد من شعراء سوف يكرس ويبدع في كل أشعاره ومدح شيوخهم، وهذه من أجمل قصائد معمر بن سعدة التغزوتي<sup>2</sup> التي يتمنى فيها رحلة إلى مدينة فاس، يقول الشاعر (النص العاشر):

حَيْرٌ نُومِي بِالسَّهْرِ لِأَلِي فَتْرَةٌ  
 يُثْقَبْنِي مِشْعَالٌ وَدُمُوعِي مَطْرَةٌ  
 هَبْلَنِي تَفْكَارٌ عَنْ قَلْبِي يَطْرَا  
 وَطُنُو جَانِي بَعِيدٌ لَا عِنْدِي قُدْرَةٌ  
 لِلْفَاسِ الْمَعْلُومِ سَهْلٌ لِي الْخَطْرَةٌ

شَيْنٌ حَالِي وَالْبَدَنُ دَائِمٌ فَانِيهِ  
 وَيُعْرَضُ نِي حُمَانٌ فِي الْكَبْدَةِ صَالِيهِ  
 بِالْمِخْنَةِ مَحْزُونٌ حَتَّانُ نَلَاقِيهِ  
 ظَهْرَةٌ تَازَهُ شُورُنَا سِرِّي نَحْكِيهِ  
 بِيهَا يَفْرَحُ خَطْرِي مَحْبُوبِي فِيهِ

وكذلك يوجد رحلات دينية أخرى لجمع الحديث والتفقه في الدين، ولقد كان هدف الإسلام دعوة الناس إلى السير في الأرض والتسلح بالنظر الدقيق والرؤية الموضوعية للأشياء، والتفكير في خلق

<sup>1</sup> من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي (مخطوطات).

<sup>2</sup> ولد معمر بن صالح بن سعدة في بلدة تغزوت حوالي سنة 1880 حفظ القرآن في مسقط رأسه ودرس في زاوية قمار على شيوخ الزاوية التجانية، عاش بقية حياته متعقلاً مشتغلاً بمديح شيوخه إلى أن توفي سنة 1965. ينظر: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 2، ص 66.

السموات والأرض، وكذا تصحيح العقيدة والبحث عن السند الصحيح بقصد جمعه وتدوينه وتصحيح سنده أو متنه فقد كان الواحد يسير في طلب الحديث مسيرة ليالٍ.

ولقد كان أغلب الطلاب في سوف في القرن التاسع عشر والقرن العشرين يتوجهون لجامع الزيتونة بتونس، وهناك من التحق بزاوية سيدي إبراهيم بنفطة، وزاوية المولدي بوعرقية بنفطة أيضا، وجامع ابن شباط بتوزر، وفيهم من التحق بجامع الأزهر بمصر، بالرغم من كل الظروف القاسية التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة.

# الفصل التطبيقي

## الفصل التطبيقي:

### رحلة قدور بالتومي إلى المقدّس

أولاً: الشاعر قدور بالتومي ورحلته لأداء فريضة الحجّ

ثانياً: النموذج العملي لقصيدة قدور بالتومي

ثالثاً: المربّع السيميائي لقصيدة قدور بالتومي

رابعاً: الثنائيات الضدية في القصيدة

#### تمهيد

يتجلّى الباعث الروحي في الرحلة إلى الحجّ من خلال أشعار الشوق والحنين إلى زيارة بيت الله، والتمتع برؤية روضة نبي المسلمين. فشدة الشوق إلى الحرمين قد تصل إلى الحدّ الذي لا يقاوم لذا نجد كثير من الرّحالة يحجّون أكثر من مرّة، ومهما يكن فإنّ الحجّ من أغنى الينايع التي زوّدت المسلمين بالمعلومات، إذ يصاحب عودة الحجّاج إلى بلادهم كثير من القصص والأخبار التي سمعوها في طريقهم.

ولما كان الحجّ أكبر مؤسّسة قدّمتها الإسلام للمسلمين أينما كانوا، ولا نحتاج هنا إلى التذكير بما زوّدنا به هذا الركن من أركان الإسلام من ثروة فقهية، فثقافة الحجّ وحدها تعبّر عن فكر خلاق فيما قدّمه الفقهاء لنا سواء أكانوا ينتسبون إلى هذا المذهب أو ذاك. فالمسلم وهو يفكر في الثوابت التي تجعل منه مسلمًا مثاليًا تنصبّ أمام مخيلته مكة المكرمة والكعبة المشرفة سواء أكان من الشرق أم من الغرب، يرحل إليها بوجدانه خمس مرات في اليوم على الأقلّ في صلاته وتوسّلاته، ومن هنا يكون الهدف الأوّل هو تحقيق الأمل في زيارة تلك البقاع التي تشدّه إليها شدًّا.

ومن هنا ندرك السرّ في التوجّه نحو مهد الإسلام ومهبط الوحي، كانوا يصلون تلك الديار على الرغم ممّا يفصلهم عنها من صعوبة المسالك وأخبار المهالك، على الرغم من العدد الكبير من الذين ابتلعهم البحر أو أودت بهم الفيافي والقفار والأوبئة القتّالة، ممّن قبروا هناك على طول الطريق. وبالتالي نجد أن من عقدوا النية للذهاب لا يباليون بشيء ماداموا قاصدين تلك الديار المحبّبة إليهم مهما كان الأمر، تلك الديار التي كانوا ينسون فيها كلّ المصاعب والمتاعب عندما يبلغونها، ويشهدون الكعبة المشرفة، فهم يشعرون به وكأنّه دينًا يجب أن يؤدّى.

وهذا الشعور نلتمسه جليًّا عند أهل وادي سوف، وهاهو شاعرنا قدور بالتومي الذي نحن بصدد دراسة قصيدته حول الحجّ يعبّر فيها عن شوقه ومدى حنينه لرؤية الكعبة وروضة نبيّ المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم، فمن هو الشاعر قدور بالتومي؟ وكيف عبّر عن تمنيّه وشوقه لزيارة بيت الله؟

## أولاً: الشاعر قدور بالتومي ورحلته لأداء فريضة الحج

قدور بن محمد التومي من عميرة لفايز من عمائر الربيع ربيع الشمال، ولد بالبادية الجنوبية الشرقية، وأمضى حياته كلّها في رعي الغنم، وكان ينزل شتاءً بقرية الحبنة ثمّ يرتحل إلى البوادي إلى أن توفيّ عام 1948م<sup>1</sup>.

كان قدور بالتومي منذ صغره متعلّقًا بالشعائر الدينية، وخاصة الطريقة القادرية التي كان يحفظ العديد من أشعارها فعبّر عن حبّه لشيخه عبد القادر الجيلاني وبعض شيوخ القادرية الآخرين.

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 81.

ولعلّ ما ضمن لنا وصول هاته القصائد إلينا وبعد هاته الفترة الطويلة من وفاته والاعتماد في الرواية على المشافهة هو اختصاصه بالمديح الديني، ذلك الذي يوليه العامة أهمّية بالغة، وتضفي عليه نوعاً من القداسة إذ يرتبط بعقيدتهم الدينية ارتباطاً وثيقاً، فيحفظونه ويتناقلونه وينشدونه في المناسبات الدينية والاجتماعية أحياناً.

كان قدور بالتومي يمّي نفسه دائماً بالحجّ إلى بيت الله وزيارة قبر الرسول الأعظم، حتّى تحقّقت له تلك الأمنية الغالية والغاية السامية. ويقول النايم دويمي<sup>1</sup> راويته وحافظ أشعاره أنّ الشاعر حجّ سعياً على الأقدام، لكن القصيدة التي يصف فيها قدور بالتومي رحلته المقدّسة كان يتحدث فيها عن ركوبه المهري والسفينة، وهي قصيدة مطوّلة يصف فيها الرحلة بدقّة ويذكر كل المناطق والمواضع التي مرّ بها خلال رحلته الطويلة ينظر (النصّ الأول)، والتي مطلعها:

قَلْبِي شَوَّزْ شَاهِي نَعَزْمْ	قَاصِرِدْ بَيْتِ اللّهِ
لِمَقَامِ الرَّسُولِ نُدَوُزْ	زَمَزَمَ نَشْرَبْ مَاه
قَلْبِي شَوَّزْ دَبَّرْ عَنِّي	يَا صَاحِبَ لِنَصَاح
حُبِّ الرَّسُولِ مُدْرُونِي	لَا هَاجِعْ مِرْتَاخ <sup>2</sup>

ففي هذه الأبيات يتمي الشاعر رحلة ميمونة إلى بيت الله الحرام، فعبر عن رغبته الملحة وشوقه الشديد إلى الحجّ وحبّه الجارف للرسول صلى الله عليه وسلم، ورغبته في الشرب والارتواء من ذلك الماء المبارك " ماء زمزم "، ثمّ يعود ليعبر كيف أنّ حب الرسول صلى الله عليه وسلم يكاد يفقده عقله من شدّة التفكير فيه.

ثمّ يبدأ في وصف المركوب الذي استخدمه في الوصول للبقاع المقدّسة فهو مهري صغير، والمركوب يعدّ من أهمّ العناصر الضرورية التي يجب حضورها في نص الرحلة سواء كان وسيلة تقليدية كالمهري أو وسيلة عصرية الطائرة والقطار والباخرة. أمّا في هذه الرحلة فهو جمل لم يستخدم من قبل في حمل الأثقال فيصفه الشاعر بأنّه مدلّل نشأ نشأة مريحة غير شاقة. يقول قدور بالتومي في وصف المهري الذي يمتطيه:

نُوْدُكْ عَن سَاقِ مِثِّي	وَمُخَرِّطْ لَرَمَاخ
---------------------------	----------------------

<sup>1</sup> النايم دويمي الربيعي من مواليد 1930 بالباّمة بلدية البيضاء، عايش مجموعة من المدّاحين ورافقهم في بوادي وادي سوف وحتّى في تونس، ويعدّ تقريباً الرواية الوحيد الذي يحفظ معظم أشعار قدور بالتومي. أقام التسجيل معه الأستاذ محمد الصالح بن علي يوم الثلاثاء 11 جوان 2002 على الساعة 6:14 مساءً في بيته بالباّمة. وأخذت هذا التسجيل من الأستاذ محمد الصالح بن علي يوم 28 فيفري 2015.

<sup>2</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 81.

مَدَّلَنْ مِنْ صُغْرِهِ مِتَهَنِّي      لَا رِدَّةَ فِي مِي رَاخ  
بِيهِ الْمُؤَلَى كَمَلَّ عَنِّي      جَلْبُوهُ الصَّلَاخ

كما يشير إلى أنّ هذا المهري ذكي ولديه شيء من النباهة والفتانة، ويصفه كذلك بالسرعة فذكر في القصيدة لفظ "عَجَّال" أي سريع، يقول الشاعر:

عَجَّالٌ طَوِيلٌ يَدَهْمَنِي      بَتُّ وَثَارُ صَبَاخ

ويصف أيضا طريقة مشيه فهو يسير بخطوات حرّة طويلة منطلقة، فيقول:

فِي السَّبْحَةِ تَارُ مَرَحَلْنِي      بِالسُّخُوتِ تَسْرَاخ

ويشير أيضا إلى أنه مدرّب على الركوب يطاوع إشارات راكبه أي يتجّه الجمل حيث ماح الشاعر وهو راكب، يقول الشاعر بالتومي:

مَدُوبٌ وَفَاهِمٌ عَن ظَنِّي      مَنِينٌ نَمِيحٌ مَآخ

ونلاحظ أنّ الشاعر قدور بالتومي متعلّق جدًّا بالمهري، فهو يسهب الحديث عن المطيّة وخير المطايا عندهم المهري، الذي يصفه في قصيدة أخرى وهي أيضا يصف فيها رحلته للحجّ، إذ يشبّه المهري بالطير في سرعته عندما يقصد وكره حيث ترك فراخه تنتظره.

ويعدّد الشاعر الصفات التي يصف بها المهري؛ فهو أحجل، مدوّب، قوّي، إلى كثير من هذه الصفات التي لم تصبح متداولة الآن، والتي لا يعرفها الكثير من الناس اليوم ممّن لم يألفوا ركوب المهاري. يقول الشاعر:

وَاللّهِ أَلَّا مَدُوبٌ يَسِيرُ      شَوْرُ البَشِيرُ      مَحْمَدٌ بَاهِي صِيْفَاتِهِ  
عَازِمٌ عَنَّهُ بَاشٌ يَطِيرُ      كِي مِثْلُ الطِيرُ      مَعِينٌ فِي وَكْرِهِ فَرَخَاتِهِ  
قَاصِدٌ مُؤَلَى السَّرِّ كَبِيرُ      مَن هُوَ صَغِيرُ      قَبْلَ إِلَّا أُمَّهُ جَابَاتُهُ<sup>1</sup>

ولا يكتفي الشاعر بهذا القدر من الوصف الخاص بالسرعة حتّى وصفه أنّه سيّطير كالطيور، بل يضيف أوصاف أخرى قائلا:

وَاللّهِ إِلَّا مَدُوبٌ أَحْجَلُ      تَارُ مَبَجَّلُ      أُمَّهُ لَا رَكْبَتَهَا شَمَلُ  
وَمِنْ صُغْرِهِ دِمَهُ هَامِلُ      تَارُ مَدَّلَلُ      فَآلِي نَعْتَهُ فُوقَ الْبَلُ  
حَشَدَتْ الصَّلَاخَ أَكَلُ      جَابُوهُ حَصَلُ      شَدِيَّتَهُ بَرَسُوهُ وَعَقَلُ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي (مخطوطات).

<sup>2</sup> من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي (مخطوطات).

كما يذكر الشاعر المواضع والمناطق التي افتتح بها رحلته الطويلة: نفاوّة، السبخة، بو عجيلة، وإلى غير ذلك من المواضع الكثيرة، يقول الشاعر قدور بالتومي:

جِيهْ نَفَاوَةَ مِنْ قِبْلَةَ      عَمَّ شُورَةَ رَاخِ  
ويقول في بيت آخر:

سِيدي بُوعَجِيلَةَ وَكُنِّي      خَلِيَّتِ الْمُطْرَاخِ

ويذكر في طريقه فضل الشيخ عليه والمقصود به شيخه عبد القادر الجيلاني الذي كان دائما يمدحه ويشيد بكراماته، وهو مؤسس الطريقة القادرية هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محي الدين الجيلاني (471-561 هـ، 1078-1166 م) ولد في جيلان ثم انتقل إلى بغداد. كان من كبار الزهاد والمتصوفين، برع في أساليب الوعظ، وتفقه وسمع الحديث<sup>1</sup>.

وبعد اجتيازه مسافات شاسعة في الأراضي التونسية، يتوغّل قدور بالتومي في الأراضي الليبية، ويذكر منها مصراته، قصر حميده، قبة عبد السلام الأسمر، جبل أخضر "الخُضْر". ثم يذكر لنا الشاعر مروره بقبة عبد السلام الأسمر "لَسْمَر" وهو من رجال الطريقة القادرية، وفي تلك المنطقة يشير الشاعر قدور بالتومي إلى كرم وجود أهلها وسكانها فهم يطعمون عابري السبيل، فيقول الشاعر في ذلك البيت:

دَهْمٌ فِي لَسْمَرٍ وَأَقْبَابُهُ      وَأَطْعَمَنَّا السَّبِيلِ

هاته القبة أسسها عبد السلام لسمر حوالي سنة 912هـ 1491 م بمدينة زليتن بغرب ليبيا، وحملت منذ ذلك الوقت اسم مؤسسها، وعُدّت هذه الزاوية أحد أهمّ المراكز الإسلامية في ليبيا وذلك لدورها الكبير في نشر تعاليم الإسلام منذ أكثر من خمسة قرون.

فهي تعتبر حلقة وصل تربط بين أهمّ المراكز الإسلامية في شمال إفريقيا، فهي أهمّ مدرسة تقع بين جامع الأزهر في مصر شرقاً وبين جامع الزيتونة بتونس غرباً. ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى أنّ الشيخ عبد السلام الأسمر أقام في جوار الزاوية والمسجد مرافقاً لإيواء الفقراء والمحتاجين وعابري السبيل، وجعل بها مكاناً لإعداد الطعام للزائرين.

<sup>1</sup> ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، 2002، ج 4، ص 47.

ويحدّثنا الشاعر بعد ذلك عن البدو الذين مرّ بهم في طريقه هناك وأقام في ضيافتهم ويحدّثنا عن ثراءهم وكرمهم. يقول الشاعر:

بِأَلَادِ عُرُوبِهِ فِيهَا الصَّابَةُ      وَنَعَاجٍ وَبُعَيْرٍ

ثمّ يقول في أبيات أخرى:

بِتَنَافِي فِي رِدَّةِ وَغُرُوبِهِ      نِسْبَةُ نَاسٍ أَجْوَادٍ<sup>1</sup>  
عِذْهُمُ بِالْهَيْلَةِ سَبُوبُهُ      وَآخِرَايِرُ وَآجِرِ وَأَوَادٍ<sup>2</sup>

كما تحدّثنا في الفصل السابق عن أحد العناصر المهمّة في الرحلة ويجب على الشاعر أن يشير إليها في نص الرحلة ولو بإيجاز، ألا وهي "الزّاد" وهو ضروري جدًّا فهناك رحلات تستغرق شهور عديدة من بينها رحلة الحج. يقول الشاعر:

رَاحِلَتُهُ فَوْقَهُ مَرْكُوبَةٌ      عَنْهَا دِرَّتِ الزَّادُ

ثمّ يصف منطقة "جَبَلِ الْخَضِرِ" وهي منطقة جبلية تبدو من خلال الوصف جميلة وذات طبيعة خلّابة، فهو يصف فيها الأشجار الكثيفة المتداخلة يكاد لوّنها يميل إلى السواد من شدّة الخضرة. وهذا الوصف يحيلنا إلى معاني أخرى خفيّة كالخصوبة والعطاء وهذه المعاني بدورها أيضا تؤدي إلى معاني أخرى تنعكس على تربية ونفسية وأخلاق المجتمع الذي يقيم هناك من جود وكرم وثراء... يقول الشاعر في وصفها:

جَبَلٌ لَخَضِرٍ خَشَّتْ جُبُوبُهُ      بِسُجُورَةٍ تِسْوَادُ  
عَرَعَارٌ مَهْيَشٌ بِخَشُوبِهِ      نَبَتْ لَمَالَهُ عَدَادُ

ويواصل اجتياز الأراضي الليبية ويحدّثنا فيها عن كلّ شيء يصادفه في طريقه، حتّى عن عساكر الطليان الذين يقيمون الحراسة ليل نهار، وعن المجاهدين الليبيين الأحرار الذين يقاومون وجود الكفّار على أراضيهم، ويلحقون بهم الهزائم النكراء. وفي هذا يقول الشاعر:

وَعَسَاكِرُ عَاسَّةٍ مَرْتُوبَةٌ      عَنِ جِأَلِ الْجِيَهَادِ  
عَنِ دِينِ النَّبِيِّ مَجْدُوبَةٌ      لِيَا حِشْدُو لَعَقَابِ  
فِي الْكُفْرَةِ مَا خَلَوْ عُقُوبَةٌ      بِالْمَاضِي وَزُنَادِ

<sup>1</sup> نسبة ناس أحواد: أي ينسبون إلى الكرم والجود.

<sup>2</sup> سبّويه: ثروة. فهم يمتلكون ثروة يجودون بها على ضيوفهم دون بخل.

وبين هذه الأوصاف المناطق والعباد والمنشآت وغيرها ممّا رآه نجد الشاعر بين الحين والآخر يتذكّر أنّه ذاهب لمكان يناديه ويلجّ عليه في قلبه ذلك الشعور بالشوق والحنين إلى زيارة بيت الله الحرام.

وكذلك تجده يتحدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم ويثني عليه، وهو الذي يشفع في المذنبين عند خالقهم حين يحشر الناس يوم القيامة. يقول الشاعر:

نَادَانِي الطَّاهِرُ وَأَصْحَابُهُ      أَبَا الزُّهْرَةَ البَشِيرُ  
شَفِيعَ النَّاسِ المَذْنَابَهُ      مَا بَيْنَ صُؤَامِيرُ

وفي موضع آخر يقول الشاعر:

مَزَارِبُ وَخَطَايَ مَرْتُوبَهُ      لِمَقَامِ النَّشَادِ  
شَفِيعَ النَّاسِ المَذْنُوبَهُ      لِيَا خَشْتِ لَصَهَادِ

وهكذا حتّى يتجاوز الأراضي الليبية ويدخل الأراضي المصرية، ويبدأ في وصف النيل والأشجار والأراضي الخصبة المحيطة به، يقول الشاعر:

عَنْ بَرِّ المَصْرِي حَادِرْهَا      لَا تَكْيِيرُ وَنَاسِ  
عَنْ بَحْرِ النِّيلِ مَعْدِرْهَا      يَسْتَقِي فِي لَنَفَاسِ  
يَسْتَقِي فِي الوُطَا وَسُجْرْهَا      وَمَا يَنْزَحْشِ خِلاصِ

وبعد وصف النيل يخبرنا بأنّه زار الحسين بن الزهرة وابن الإمام علي بن أبي طالب الأسد المصور، ومن ثمّ يمرّ على بيت المقدس فيزور قبة الصخرة والمسجد الأقصى وهي فيما يعرف قديماً ببلاد الشام، يقول الشاعر:

وَمَنْ ثَمَّ نَا جِبَتِ الحَجْرَةَ      لِلشَّامِ وُلُقْدَاسِ<sup>1</sup>  
قَدَسَتْ وَهَزَيْتِ النُّصْرَةَ      مِنْ أَسْيَادِي الرِّيَّاسِ

ففي البيت الثاني أشار إلى أنّه أخذ القوّة والاستعانة والنصرة على بقية الطريق من أسياده أي الصحابة الذين توجد أضرحتهم بالشام.

ثمّ يواصل قدور بالتومي رحلته الطويلة ومغامراته في مختلف الأراضي والأوعار، وها هو يترك بلاد الشام ويواصل سيره نحو المدينة المنورة حيث يزور مقام الرسول صلى الله عليه وسلم والبقيع المطهر. ثمّ يبدأ في وصف مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يراه وكأنّه قصر من القصور الفخمة

<sup>1</sup> الحجرة: مقصود بها قبة الصخرة.

وتلك الأنوار الموجودة فيه نعم فهو مسجد النبي. ويتحدّث كيف أنّه يغتنم هذه الفرصة وهي لا تتاح دائماً فهو يرغب في نيل الأجر والثواب.

ومن المدينة المنورة يتجه نحو القبلة أي مكة المكرمة على ظهر الجمل، إلى أن وصل وطاف ببيت الله الحرام، وبدأ في القيام بمناسك الحجّ طمعاً في المغفرة ومحو الذنوب.

ثمّ يصف الحجر الأسود كيف أنّه لامسه بيده فلها رائحة بهيّة تعمّ المكان، ثمّ يتحدّث عن الصفا والمروة والسعي بينهما، ثمّ يصف الموقف ليلة تسعة كما يقول أي عن يوم عرفات. ويصف وجوده في منى وكيف شرب من زبيدة وهي عين ماء لذيذ طيّب في منى، ثمّ تحدّث عن رجم دار الشيطان، ثمّ الذبح.

بعد الإطلاع على بعض أبيات هذه الرحلة الدينية المخصّصة للحجّ، - سنورد القصيدة كاملة في الملحق - نلاحظ فيها عدّة جوانب: شخصيات، أماكن، طبيعة، زوايا، مساجد، هذه بعض الأشياء المذكورة والظاهرة، وهناك جوانب نفسية وهناك جوانب أخرى عميقة لا تفهم إلاّ من سياق القصيدة، وهناك مساعدات ذكرها الشاعر ساهمت بدورها في تسهيل الرحلة، وهناك عوارض ومعينات كان لها دور بالغ في تعطيل وعرقلة السفر.

من خلال هذه الجوانب المذكورة مباشرة أو غير المباشرة التي تستنبط من سياق القصيدة، تحيلنا هذه الأجزاء إلى إمكانية تطبيق مقارنة سيميائية للقصيدة، كالنموذج العاملي ومرّبع جريّماس وتحديد بعض الثنائيات الضديّة لتوقّرها على جميع شروط التطبيق. وبالتالي ضروري أن نتحدّث عن كلّ إجراء وعن صاحبه وعن كيفية تطبيقه في القصيدة.

## ثانياً: النموذج العاملي (Le Modèle Actantiel) لقصيدة قدور بالتومي

لقد كان النموذج العاملي الذي أتى به غريماس<sup>1</sup> (A.J.Greimas) وليدًا ومكتملاً وتطويرًا للأبحاث الشكلانية الروسية، وخاصةً أبحاث فلاديمير بروب<sup>2</sup> (Vladimir Propp) فيرى غريماس أنّ بروب أوضح مفهوم العوامل دون أن يضع بالضرورة المصطلح نفسه، وخاصةً عندما وّزع الوظائف المتعدّدة على سبع شخصيات أساسية، وهي التي اعتبرها غريماس بمثابة عوامل<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> أليجراد جوليان غريماس (1917-1992) عالم لساني وسيميائي كبير، يعدّ من مؤسّسي السيميائية البنوية انطلاقاً من الدراسات اللسانية لدى سوسير، وهو من رواد مدرسة باريس السيميائية لنظريته في السيميائية المتمثلة في المربّع السيميائي ونموذج البناء العاملي الذي اعتبر من أبرز الدراسات السيميائية الحديثة.

<sup>2</sup> فلاديمير بروب عالم روسي من أصول ألمانية، ولد في 17 أبريل 1895/22 أوت 1972، في مدينة بيترسبرج في عائلة تنحدر من أصول ألمانية. أتقن اللغتين الألمانية والروسية وتحصّل على أعلى الرتب والدرجات العلمية، تحصّل على الدكتوراه في شعبة الفلوكلور، والتحق بجامعة "بتوغراد" (لينغراد) في سنة 1913. وفي عام 1938 ركّز بروب على الفلوكلور ودافع عن أطروحته التي كانت تحت عنوان "أصل الحكاية الخرافية"، وتخرّج على يده العديد من المتخصّصين في علم الفلوكلور. ورغم قلّة مؤلّفاته إلا أنّها تكتسي أهمية كبيرة مثل: مورفولوجية الحكاية الخرافية 1928، الجذور التاريخية للحكاية الخرافية الروسية 1946، الملحمة البطولية الشعبية الروسية عام 1955.

<sup>3</sup> ينظر: حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط 1، سنة 1991، ص 33.

"فالاكتشاف الذي توصل إليه بروب في بحثه حول مورفولوجيا الحكاية الشعبية كان هو الأساس الذي بنى عليه غريماس نظريته في الحكى، وخلافًا لبروب أراد غريماس بناء نموذج مجرد يصلح للتطبيق ليس على نوع واحد من الحكى هو الحكاية الشعبية وإنما كل أنواع الحكى"<sup>1</sup>. ويستفيد غريماس أيضا في بناء تصوّره للنموذج العاملي من مفهوم العوامل في اللسانيات، إذ ينطلق من ملاحظة "تسنيير Tesnière" التي شبّه فيها الملفوظ البسيط بالمشهد والملفوظ عنده هو الجملة؛ لأنّ الوظائف بمثابة أدوار تقوم بها الكلمات داخل الجملة تكون فيها الذات في النموذج فاعلاً، والموضوع مفعولاً<sup>2</sup>.

وهكذا نستشف بأنّ غريماس لم يأت بنظريته من فراغ، بل استفاد من آراء الباحثين السابقين له، فالنموذج العاملي عنده يقوم على ستّة عوامل تنتظم في ثلاثة محاور. والعامل عند غريماس هو: "دور تقوم به الشخصية في مجرى الفعل"<sup>3</sup>.

والعامل يكون فرداً أو جماعة، إنساناً أو حيواناً، أو فكرة مجردة مذكوراً أو يستنتج من خلال الحكى بحسب تموضعه في المسار السردى للحكى<sup>4</sup>. أي أنّ الأدوار العاملة لا يقابلها قائم بالفعل مشخّص دائماً، كما أنّ الدور الواحد قد تتقاسمه جملة من القائمين، والعكس كذلك فقد نجد المرسل إليه هو نفسه الفاعل، أي أنّ الشخصية الواحدة قد تلعب دورها في عاملين اثنين. وهذه العوامل الستّة على النحو الآتي:

- **الذات الفاعلة:** يمكن أن نسميه البطل، لأنّه يقوم بالعمل بغية الحصول على الشيء الذي يرغب فيه، فهي تلعب دور المحرّك بحيث ترغب في الموضوع، وهذا ما يؤدي بها إلى ملاقاته عدد من المساعدين من جهة، وعدد آخر من معارضين من جهة أخرى.

- **الموضوع "Le objet":** وهو الذي تتجّه إليه رغبة الذات، أي الشيء المراد تحقيقه. إنّ كلّ حكى يشتمل على ذات تحدها الرغبة في الحصول على موضوع ما (موضوع قيمة) وتكون علاقتها بهذا الموضوع علاقة انفصال، فالذات دائماً تكون فاقدة لموضوع القيمة وتسعى جاهدة لتحقيقه، فإذا كانت علاقتها بموضوع رغبتها علاقة انفصال، فمن المؤكّد أنّها ترغب في الاتصال<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> السيد إمام، مدخل إلى نظرية الحكى، مؤتمر أدباء مصر، الأبحاث، الدورة الثالثة والعشرون، 2008، ص 46.

<sup>2</sup> ينظر: حميد حميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 32.

<sup>3</sup> السيد إمام، مدخل إلى نظرية الحكى، ص 47.

<sup>4</sup> ينظر: السعيد بو طاجين، الاشتغال العاملي دراسة سيميائية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2000، ص 16.

<sup>5</sup> ينظر: السيد إمام، مدخل إلى نظرية الحكى، ص 47.

- المرسل "Le destinataire": أو الدافع، هو المسؤول عن الدفع الذات إلى العمل، وتزويده بالحوافز اللازمة لإنجاز فعل الحصول على موضوع رغبته.

- المرسل إليه "Le destinataire": هو الذي يعترف للذات بأنه أدى مهمته على أكمل وجه، أو العكس. إنّه العامل الذي يحكم على مطابقة الفعل للكون الأخلاقي الذي صدر عنه.

- المساعد "L'adjuvant": هو الذي يساعد الذات في مهمته للوصول إلى موضوع رغبته.

- المعارض "L'opposant": يمثّل هذا الدور العملي كلّ من يقف في طريق الفاعل معيماً له معرقلاً لجهوده في سبيل تحقيق هدفه، وهو الذي يحاول جاهداً أن يمنع الذات من الحصول على رغبته. وبالتالي يعمل على عرقلة جهود الذات من أجل الحصول على الموضوع<sup>1</sup>.

وتتنظم العوامل الستة المذكورة كما هو معروف حول ثلاث محاور أساسية يربط كلّ منها بين

عاملين، هي على النحو التالي:

1- علاقة الرغبة "Relation de désir": تربط الذات والموضوع علاقة إصرار قائمة على الإنجاز وتجمع هذه العلاقة بين من يرغب (الذات) وما هو مرغوب فيه (الموضوع). وتكون هذه الذات إما في حالة اتّصال (A) بالموضوع وبالتالي فهي ترغب في الانفصال عنه، وقد تكون عكس ذلك، أي في حالة انفصال (V) عن الموضوع وبالتالي تريد الاتّصال به<sup>2</sup>.

2- علاقة التواصل "Relation de communication": ويطلق عليه كذلك محور التبليغ، وهو يربط بين المرسل والمرسل إليه، فالذات الفاعلة لا بد أن يكون من ورائها محرّك أو دافع يتسبّب لها بالرغبة في الوصول إلى الموضوع، وتحقيق هذه الرغبة لا يكون ذاتياً بل هو مجّه إلى عامل آخر يسميه غريماش المرسل إليه. وتمتّز علاقة التواصل بين هذين العاملين "المرسل والمرسل إليه" بالضرورة على علاقة الرغبة الرابطة بين العاملين السابقين (علاقة الذات بالموضوع)<sup>3</sup>.

3- علاقة الصراع "Relation de lutte": وينتج عن هذه العلاقة إمّا منع حصول العلاقتين السابقتين (علاقة الرغبة وعلاقة التواصل) وإمّا العمل على تحقيقهما. وضمن علاقة الصراع يتعارض عاملان، أحدهما يسمّى المساعد والآخر يسمّى المعارض. الأوّل يقف إلى جانب الذات والثاني يعمل

<sup>1</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 47.

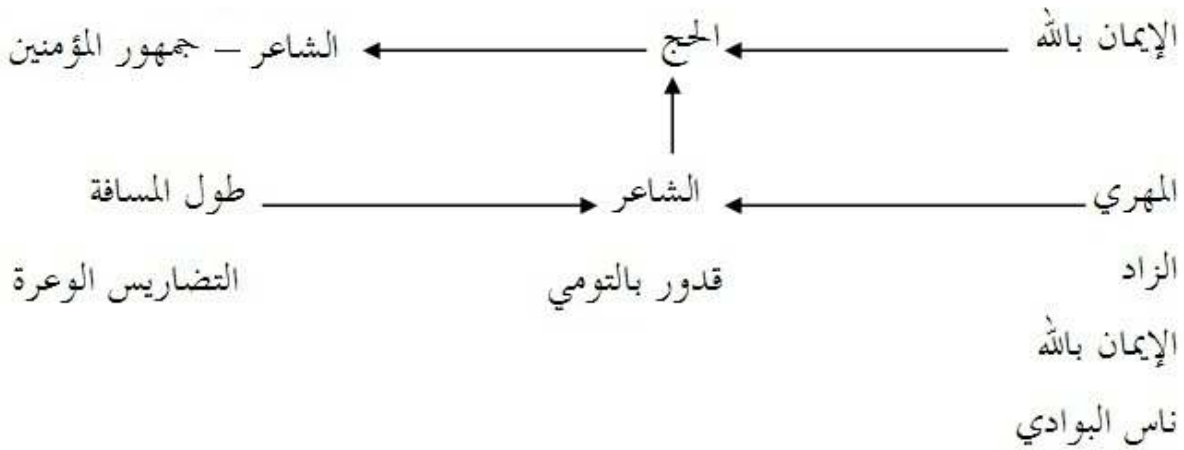
<sup>2</sup> ينظر: حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 33، 34.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 35، 36.

دائماً على عرقله جهودها"<sup>1</sup>. ويسمى هذا المحور عند بعض الباحثين محور القدرة أي يضم كما ذكرنا عاملي المساعدين والمعارضين أي التصارع والتجاذب بين القدرات الخيرة والقدرات الشريرة. هكذا نحصل من خلال العلاقات الثلاث السابقة (الرغبة، التواصل، الصراع) على الصورة الكاملة للنموذج العاملي عند غريماس:



ويمكن تطبيق النموذج العاملي على قصيدة قدور بالتومي كالاتي:



**المرسل:** إنَّ الإيمان بالله والتمسك بعقيدة الإسلام، والحب الشديد للرسول صلى الله عليه وسلم والتصديق الجازم بما أتى به النبي من عند الله عزَّ وجلَّ كان بمثابة المرسل أو الدافع للذات الفاعلة ألا وهي "الحاج صاحب الرحلة أو بعبارة أخرى الشاعر الذي نحن بصدد دراسة قصيدته قدور بالتومي"، قصد الاتصال بالموضوع وهو "الحجّ زيارة بيت الله ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم".

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 36.

وبما أنّ الحجّ ركن من أركان الإسلام وفرض لمن استطاع إليه سبيلاً نجد المسلمون يتوافدون إليه من كلّ بقعة ومن كلّ الأجناس سود وبيض وعرب وعجم، لقول الله تعالى في سورة الحجّ الآية 27: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ فالكلّ يجمعه شيء واحد وهو الإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وسلم، والشاعر هو أحد هؤلاء المسلمون ويتميّ من كلّ قلبه أن يحجّ إلى بيت الله، ففي بعض أبيات القصيدة نلتمس هذا الشعور فهو يكاد يفقده عقله، يقول الشاعر في هذا:

### حُبُّ الرَّسُولِ مُدْرَوْنِي لَأَهَاجِعُ مِرْتَاخَ

وبالتالي نستنتج أنّ المرسل أو الدافع كان ذا طبيعة معنوية تتمثل في قيم وأحاسيس ولدها الإيمان بالله في نفوس المسلمين، عبّرت عنها الذات الفاعلة في القصيدة وأنتجت رغبة كبيرة في تحقيق الهدف المنشود ألا وهو زيارة بيت الله الحرام وكلّ ما من شأنه أن يصّب في هذا المنحى كبيت المقدس ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكحيل العينين بمشاهد كان الشاعر ينتظرها منذ أمد بعيد. فهذه القيمة الدينية المقدّسة تستحقّ فعلاً أن يجازف ويخاطر المرء بحياته في سبيلها، وأن يواجه معارك عنيفة وجبهات وصراعات متباينة في ظلّ تحقيق المبتغى.

**الذات الفاعلة:** وهي كما ذكرنا هي الشاعر نفسه لأنّه هو من قام بالرحلة بنفسه، فالإيمان بالله والرغبة في الوصول إلى البقاع المقدّسة ولّد لديه هذا الشعور. فهو كان منفصل عن الموضوع "الحجّ" ويرغب في الاتّصال به، وهذا الاتّصال وتحقيق الرغبة والأمنية لم يكن بالأمر السهل أو اليسير بل كلفه الكثير، لأنّه كما هو معروف في هذه الرحلة أنّها كانت على ظهر جمل فواجه الشاعر قطبين متضادّين أمور تيسّر له الرحلة وترفع له من معنوياته، وأمور أخرى تثبّط من قدرته وتخطّ من معنوياته. لكن كلّ هذا لا يقف أمام إصرار الشاعر في الوصول إلى طموحه أي اتّصال الذات الفاعلة بموضوعها بعدما كانا في حالة انفصال، وهذا لا يخصّ الشاعر قدور بالتومي فحسب، والدليل على ذلك ما يرويه لنا الحاج خليفة بن علي<sup>1</sup> فيقول بأنّ العديد من الحجاج ذهبوا ولم يعودوا لما يتلقّونه من مخاطر وأوبئة وأمراض متفشّية في بعض المناطق، وهناك من كان فريسة لوحوش الطريق من حيوانات ضارية، فكلّ هذا لا يجعل للمسلمين مصدر خوف أو ذعر بل هناك بعض الحجاج بعدما عادوا صاروا متمنّين زيارة أخرى.

<sup>1</sup> لقاء مع الحاج خليفة بن علي بن عبد الله من مواليد 1934، عاش أول حياته في البادية ثمّ فلاح بالحاضرة في غراسة النخيل وهو يقرض الشعر الشعبي وله اهتمام بالأمور الشعبية. كان اللقاء معه يوم 2 ماي 2015 على الساعة السادسة مساءً بمنزله.

**الموضوع:** وهو الهدف المنشود والشيء الذي كان يريده ويتمناه الشاعر، وقد عبّر عن ذلك منذ البداية ففي البيت الأوّل عبّر عن شوقه لبيت الله الحرام، وفي البيت الثاني من القصيدة عبّر عن شوقه لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكلّ القصيدة تصبّ في هذا المنحى موضوعها واضح ومحدّد، إلى أن أصبحت هذه القصيدة من القصائد الشهيرة التي تنشد باستمرار في مناسبات ذهاب الحجاج إلى الحجاز أو استقبالهم أثناء العودة. فهي تعبّر في الصميم فكلّ مسلم يستمع إليها يحسّ وكأنّ القصيدة منظومة لأجله، وتعبّر عن أمنيته وكأنّه هو فعلاً المعني ويريد الوصول إلى تلك المكان.

**المساعدون:** أثناء محاولة الذات في تحقيق رغبتها والاتصال بالموضوع تتحرّك عناصر على مستوى محور الصراع، فالجانب الأوّل من هذا المحور هو المساعدون فقد كان لهم دور كبير وبارز في وصول الذات "الشاعر الحاجّ" إلى الموضوع "الحجّ". من بينها:

- الإيمان والرغبة الشديدة في الوصول إلى بيت الله الحرام، يعتبر أيضا مساعداً باعتباره دافعاً ومحفزاً فكلّما يتذكّر الشاعر أنّه سيطوف بالكعبة المشرفة وسيرى مقام الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيمحو الله ذنوبه ويغفر له بإذنه تعالى، كلّ هذا يشجّع الشاعر ويزيد من تحفيزه في مواصلة الرحلة.

- المهري (الجمال) الذي كان الشاعر يمتطيه في رحلته، فاختره جمل مدلل وسليم ومستقيم السيقان، سريع متمرن على الجري والسفر، له خطوات طويلة حرّة منطلقة يتجاوز به المناطق الواحدة تلو الأخرى. وفي المهري صفات أخرى لها دور في نجاح الرحلة وهي أنّه مدرب على الركوب ومطواع لإشارات راكبه إذ يميل ويميح وفي الاتجاه الذي يميح إليه الشاعر وهو على ظهره.

- زيارة عبد السلام الأسمر وهو أحد رجال الطريقة القادرية، أي عندما وصل الشاعر لبيبا في المكان الذي تتواجد فيه قبة هذا الوليّ الصالح ومسجده، وأطعموه أهل تلك البلاد ما أعدّوه من طعام المسافرين إلى الحجّ. كما أنّه يقول أنّه نال دعوة مجابة من هذا الولي عندما زاره يقول أنّه نال منها الخير، أي وكأنّ هاته الدعوة ستيسر له ما تبقى من طريق الرحلة وستبعد عنه المخاطر والصعوبات.

يقول الشاعر قدور بالتومي:

وَاطْعَمَنَّا السَّبِيلَ

دَهْمٌ فِي لَسْمَرٍ وَأَقْبَابَةٍ

ويقول في البيت الموالي:

## وُعْطَانِي دَعْوَةٌ مُوجِبَةٌ مِنْهَا نَلْتِ الْخَيْرَ

ففي البيت الأول نستنتج أنّ المساعدة كانت مادية بالإطعام والإيواء وما إلى ذلك من الأمور التي تتعلق بكرم الضيافة، وتعود على أصحابها بالأجر والثواب والذكر الطيب والحسن كلّما ذُكروا في مجلس.

وفي البيت الثاني المساعدة معنوية، فزيارة الشعر لقبّة عبد السلام الأسمر فيه دعم معنوي وفيه شعور بالراحة والاطمئنان وكأنّه سيكون محميًا بعد ذلك أثناء مواصلته لرحلته للبقاع المقدّسة.

- ناس البوادي الذين يصادفهم الشاعر في طريقه كان لهم أثر ودور بالغ في مساعدة الشاعر، لما لقيه منهم من كرم وجود إذ يصفهم بأنهم "نسبة ناس أجواد" فهم يجودون على ضيوفهم بسخاء. هذا يساعد الشاعر في سفره سواء مادّيًا أو معنويًا.

- الرّاد فله أيضا دور في نجاح الرحلة ففي الرّاد عادة ما يغني عن الجوع أو العطش وغالبًا ما تكون من التمر والسمن، أو بعض الوسائل التي يعتمد عليها المسافر في حماية نفسه من شرور الطريق كالسكّين والعصا وما إلى ذلك.

- زيارة الأضرحة في القدس الشريف، فرغم قوّة البطل وشدّة صبره وكفاءته، وأصالة المركوب وصحّته الجيّدة، وقدرته الفائقة على العدو نلاحظ أنّ هاته العناصر وحدها لا تضمن نجاح الرحلة بل لا بدّ من أن يستمدّ البطل "الشاعر" دعمًا روحيًا ومعنويًا من القوى لا نقول بأنّها غيبية وإنما قوى تتعلّق بالمقدّس الدنيوي كأضرحة الأولياء. يقول الشاعر:

## قَدَسْتُ وَهَزَيْتُ النُّصْرَةَ مِنْ أَسْيَادِي الرَّيَّاسِ

أي أنّه تبرّك بزيارتهم وأخذ الاستعانة على بقيّة الطريق، بفضل تلك الزيارة المباركة التي تحصّل بفضلها على النصرة.

**المعارضون:** تعرّضت الذات الفاعلة "الشاعر" أثناء رحلتها وتحقيقها للموضوع "الحجّ" إلى عدّة صعوبات وعوارض تقف أمام اتّصال الذات بالموضوع أو على الأقلّ تعمل على عرقلتها وتعطيلها ومن بين العوارض والمعوقات التي تصدّت طريق الشاعر نذكر:

- بعد المسافة: تدوم الرحلة للحجّ عام تقريبًا، إذ يروي لنا الحاجّ علي غميمة أنّ الرحلة للحجّ تنطلق بعد الموسم الذي يمرّ مباشرة أي بعد انتهاء موسم الحجّ بشهر تقريبًا تنطلق الرحلة الجديدة، وهي تستغرق هذا الوقت كلّه كما يقول الراوي لأنّ الحاجّ يسير مسافة ويرتاح قليلًا. وتعني الرحلة عند أهل البادية المسافة التي تسيرها القافلة وهي مقدّرة من 30 إلى 35 كيلو متر. ويقول أيضا أنّ التّراس "الفرد الواحد دون القافلة" يمشي قدر ثلاث رحلات في رحلة.

وتصديقاً لقول الراوي نقوم بعملية حسابية تؤكد لنا هذه العملية، معلوم أنّ المسافة بين الجزائر والسعودية برّاً تقدّر بـ 6000 كيلو متر نقسم هذه المسافة على 30 وهي قدر رحلة بالنسبة للقافلة، نتحصّل على النتيجة 200 يوم أي نضيف لها المدّة التي يقضونها في بلادهم بعد الموسم السابق والشهر الذي يقضونه في الحجّ وباقي الأيام تبقى أنّهم يرتاحون ويزوروا العديد من الأماكن والأضرحة ومسجد القدس وما إلى ذلك، فنجد أنّ رحلة قدور بالتومي دامت حوالي عام.

- الأراضي الوعرة وهي معارض طبيعي، أي لا دخل للإنسان فيه كقطاع الطرق والعصابات أو الحيوانات المفترسة. فهذه المناطق الصعبة تشكّل للشاعر صعوبة في سيرها وتجاوزها، فقد عبر بالجمال الوعرة العالية جدّاً بصخورها الوعرة التي تظهر أجزاءها منتشرة في كلّ مكان وكأثما دون مسالك، ثمّ يمرّ بالجليل الأخضر بليبيا وهو أيضا موضع جبلي صعب حتّى مضايقه تظهر سوداء من شدّة سواد الأشجار حوله. دون أن ننسى الصحاري القاحلة والشمس الحارقة، هذا مع بعد المسافة ونعلم كيف تكون الرياح والزوابع الرملية في الصحراء كلّ ذلك يعرقل سير ونجاح الرحلة.

**المرسل إليه:** ويتمثّل المرسل إليه في هاته القصيدة في "جمهور المؤمنين" فكلّ مسلم يسمع هذه القصيدة يعترف بالمجهود الجبار الذي قام به الشاعر، وكيف تعب وشقي في مقابل الوصول إلى بيت الله الحرام، فالمسلم الذي يصغي إلى معاني القصيدة وإلى متاهات الرحلة ثمّ تحقيقها في أرض الواقع والوصول إلى الهدف المنشود والطواف بالكعبة المشرفة، والصفاء والمروة وصعود جبل عرفات، وزيارة المدينة المنورة حيث قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، المبيت في منى والمزدلفة وغيرها من مناسك الحجّ، يشعر المسلم هنا بالفرحة حتّى ولو كانت الزيارة لغيره كما يزيد عنده ذلك الشعور بالرغبة والتمنيّ ليرى ما رآه غيره في بيت الله، لأنّ الهدف من الحجّ عند كلّ المسلمين واحد، فمثلاً هنا أبيات في قصيدة الشاعر قدور بالتومي تحسّنها وكأثما تشمل كلّ المسلمين أو هي تعود بالفائدة على كلّ المسلمين، فيقول:

نَادَانِي الطَّاهِرُ وَأَصْحَابَهُ	أَبَا الرَّهْرَةَ الْبَشِيرَ
شَفِيعِ النَّاسِ الْمِدْنَابَهُ	مَا بَيْنَ صَوَامِيرَ
يَوْمَ اللَّيِّ تَبَدَّا حَسَابَهُ	فِي الصَّهْدِ مُحَاشِيرَ
رَبِّي يُقْتَلْنَا فِي تَرَابَهُ	فِي ذِكْرِهِ وَرُضَاهُ

فهذا الدعاء وكأنه عام لكل المسلمين والفائدة تعود على الجميع، فالمرسل إليه هنا يعترف بما تحقّقه الذات الفاعلة ويستفيد في الوقت ذاته.

### ثالثاً: المربّع السيميائي (Carré Sémiotique) لقصيدة قدور بالتومي

يتضمّن إحدى التقنيات التحليلية التي تسعى إلى إظهار التقابلات ونقاط التقاطع بينها في النصوص والممارسات الاجتماعية، تطبيق ما يعرف بالمربّع السيميائي الذي صاغه جوليان غريماس وجعله وسيلة لتحليل المفاهيم السيميائية المزوجة بعمق أكبر؛ فيضع خارطة للوصل والفصل بين السمات الدلالية في النص<sup>1</sup>.

"ولقد حاول غريماس من خلال هذا الحقل المعرفي أن يربط صريح النصّ بباطنه، أو بالبنية الدلالية الأصولية فالدلالة الأصولية هي الجوهر الدلالي، وعلاقتها بالخطاب هي علاقة توليدية. ومعنى ذلك أنّ الدلالة لا تستنبط من سطح النصّ فحسب وإنما لا بدّ من العودة إلى باطنه"<sup>2</sup>.

ويعرّف عبد الحميد بورايو المربّع السيميائي فيقول أنّه "صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولى للدلالة القاعدية التي تتلخّص في مقولات التناقض والتقابل والتلازم، فهو نموذج توليدي ينظّم الدلالة، ويكشف عن آلية إنتاجها عبر ما يسمّى بالتركيب الأساس للمعنى، فهو أداة منهجية تسمح برصد انبثاق المعنى منذ حالاته الأولى"<sup>3</sup>.

فهو بذلك يقتصد دلالات الخطاب في علاقات ثلاث هي التناقض، التقابل (أو التضاد)، والتلازم (التشاكل أو الاستتباع) من خلال أقطابه الدلالية.

<sup>1</sup> ينظر: دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2008، ص 186.

<sup>2</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010، ص 230.

<sup>3</sup> عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 28.

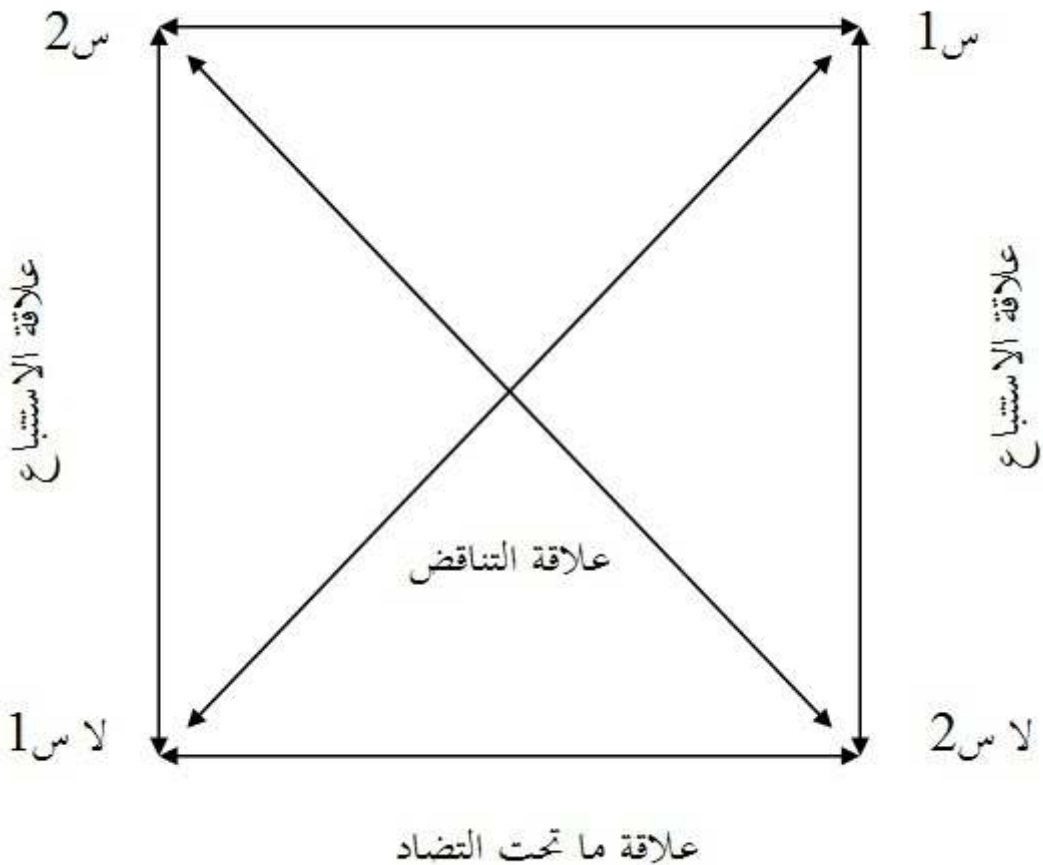
ومن هنا فالمرّبع السيميائي على درجة كبيرة من الأهمية في الحقل السيميائي فهو "يتحكّم في البنية العميقة حين يحدّد علاقات التّضاد والتناقض المولّدة للصراع الدينامي الموجود على سطح النّص"<sup>1</sup>.

إنّ علاقة الدلالة بالخطاب هي علاقة توليدية، ذلك أنّ المعنى ليس معطى ثابتاً بل هو قابل للتغيّر، فهو رهين ديمومة النّص، لأنّ تحويل الدلالات مرده إلى تطوّر الأحداث في إطار زمني ومكاني ما. فالمرّبع السيميائي يعدّ أهمّ عنصر يدرس المنهج في البنية العميقة باعتباره حوصلة كلّ التحليل السيميائي.

يساعد المرّبع السيميائي على تمثيل العلاقات التي تقوم بين الوحدات اللغوية بهدف إنتاج الدلالات التي يعرضها النّص على القراء.

ويمكن التمثيل للمرّبع السيميائي بالشكل التالي:

علاقة تضاد



<sup>1</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 230.

وانطلاقاً من هذا الشكل يمكننا أن نستنتج العلاقات التي يقوم عليها المرتب السيميائي كآلي:  
- **علاقة التّضاد:** وهي كلمات بالمقاربة مع بعضها البعض، متدرّجة من حيث البعد الضمني نفسه، وهي تناقضات منطقية تدرجية. مثل: "جيد - سيء"، حيث لا تعني "ليس جيداً" بالضرورة إلا "سيء"<sup>1</sup>.

وتكون هذه العلاقة بالنظر إلى الشكل كما يلي: بين [س 1 و س 2].

- **علاقة التناقض:** "تقوم بين [س 1 و لا س 1] و [لا س 2 و س 2] ونلاحظ أنّه لا وجود لعنصر ثالث في هذه العلاقة، ممّا يوضّح أنّه لا بدّ من اختيار عنصر من هذين العنصرين، فهذه العلاقة تشبه عملية النفي حيث أنّ نفي "س 1" يؤكّد "لا س 1"<sup>2</sup>.

- **علاقة الاستتباع:** يقول غريماس وهو أول من صاغ هذا المفهوم الإجرائي بأنّ "التشاكل يؤدّي إلى تجلية الغموض عن ملفوظ معيّن"<sup>3</sup>. وهي الكلمات التي تشكّل بدائل مانعة مثال ذلك: "حيّ - ميّت" حيث لا يمكن أن تعني "غير حيّ" إلا "ميّت"<sup>4</sup>.

وتتشكّل حسب المخطّط العلاقات التالية: [س 1 و لا س 2]، [س 2 و لا س 1].

- **علاقة ما تحت التّضاد:** "وتوجد بين [لا س 2 و لا س 1]، وهي مماثلة جدّاً لعلاقة التّضاد الرابطة بين [س 1 و س 2]"<sup>5</sup>.

هذا بشكل عام، أمّا إذا أردنا استخراج العلاقات المتحكّمة في البنية العميقة للقصيدة فإنّنا نجدّها على النحو الآتي:

انطلقت القصيدة من حالة فصل بالرحيل أي أنّه كان مستقرّاً في بلده ويتمّى القيام برحلة إلى البقاع المقدّسة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدأ بعد ذلك مغامرته ليصل إلى مبتغاه ويحقّق أمنيته وقد حاول الشاعر جاهداً للاتّصال بهذا الرحيل الذي هدفه مقدّس وهو الحجّ.

ومن هنا باستطاعتنا أن نبرز الثنائيّة الضديّة المشكّلة لحالي الوصل والفصل في القصيدة من خلال الأقطاب الدلالية الأربعة المشكّلة للمرتب الغريماسي، وبالتالي تنشأ علاقات مختلفة لتولّد دلالات جديدة نوضّحها من خلال المخطّط الآتي:

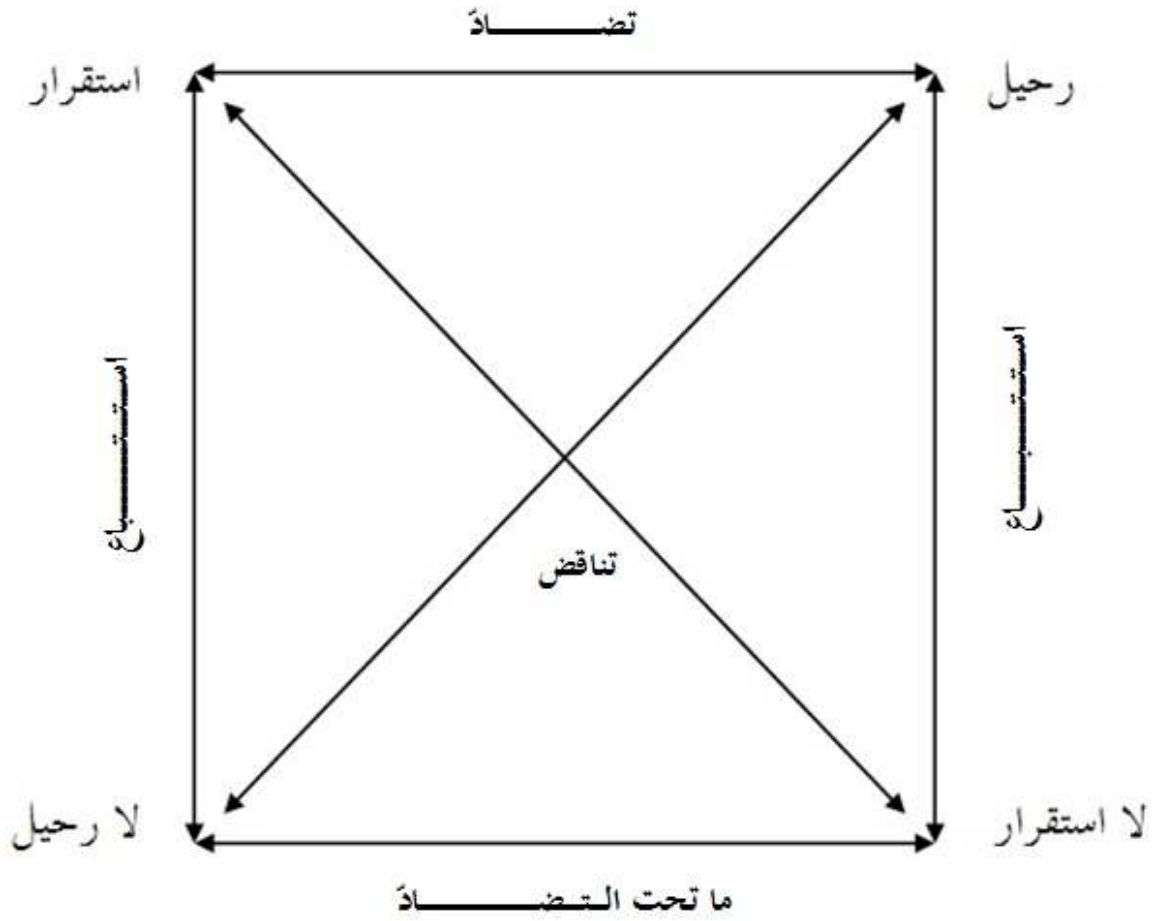
<sup>1</sup> دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص 162.

<sup>2</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، 231.

<sup>3</sup> جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال حضري، الدار العربية للعلوم، ط 1، 2007، ص 82.

<sup>4</sup> دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص 162.

<sup>5</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، 231.



- علاقة التّضاد: بين [رحيل، استقرار].
- علاقة تضمّن: بين [رحيل، لا استقرار].
- علاقة تناقض: بين [رحيل، لا رحيل].
- علاقة ما تحت التّضاد: بين [لا استقرار، لا رحيل].

## رابعاً: الثنائيات الضدية في القصيدة

من خلال علاقة التضاد "رحيل، استقرار" التي تحصّنا عليها في المرتع السيميائي للقصيدة تتولّد عندنا دلالات ومعاني خفية، والمطلوب كما هو معروف في الدراسات السيميائية محاولة التطلّع على البنية العميقة، وليس الهدف منها قراءة ما هو سطحي.

فالشاعر قدور بالتومي مثلاً لا يقصد بأن يجعل في القصيدة معنى ظاهر وسطحي ومعنى آخر خفي، وبالتالي على القارئ فهم ذلك والتعمّق في المعاني التي تظهر سطحية للوهلة الأولى، فطبيعي أن تتحقّق هذه الثنائية "استقرار/ رحيل" لأنّه كان يتمنى من كلّ قلبه الرحلة للحجّ، ففي رحلته وتنقله تغيّر إلى حالة أخرى بعد أن كان مقيماً في بلدته انفصل عن هاته الحالة وبدأ رحلته ليصبح في وضع جديد، ومن هنا يمكننا دراسة الحالات التي تطرأ على الشاعر.

في هذا المبحث سنتطرّق إلى دراسة القصيدة بتطبيق الدراسات البنيوية لكلود ليفي شتراوس<sup>1</sup> (Claude levi strauss) هذا الأخير الذي كانت أعماله امتداداً للدراسات التي قام بها فلاديمير بروب، وأضاف لها أنّه اهتمّ بالمضمون خلافاً لسابقه، واستخدم عدداً من الثنائيات المتعارضة مثل: موت/ حياة، ليل/ نهار، ذكر/ أنثى... فهو الأوّل الذي لفت انتباه الباحثين لضرورة إجراء مزوجات بين الوظائف<sup>2</sup>.

وما التعارضات الثنائية التي تحتويها الأسطورة من خلال استخلاص الوحدات المتعارضة من النصّ إلاّ مجموعة من الثنائيات الضدية المشكّلة للبناء في أبعادها الدلالية التي لا تخرج عن كونها: اجتماعية، إنسانية، اقتصادية، ثقافية، نفسية وفكرية... إلخ

ويعني شتراوس من تحليله للأسطورة واستنتاج الثنائيات الضدية الموجودة بها هو مجموعة الألفاظ التي يجمعها اشتقاق واحد، كما يعني مجموعة الألفاظ المتجانسة في المعنى وإن ظهرت متعارضة مثل: غدر/ وفاء، ظلم/ عدل، قوّة/ ضعف، سعادة/ تعاسة...

بمعنى مجموعة من التراكيب أو الألفاظ ذات دلالات مترابطة، وهذا ما سنكتشفه في ثنايا القصيدة، ويجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أنّ الثنائيات الضدية يمكن أن تتجاوز الحكاية

<sup>1</sup> كلود ليفي شتراوس: باحث أنثروبولوجي فرنسي، تلقى تعليمه الجامعي وتخرّج من كلّية الحقوق عام 1931، ثمّ التحق بالبعثة الجامعية الفرنسية. وفي سنة 1939 قام بعمل أبحاث حقلية إثنوغرافية بين قبائل البورورو في وسط البرازيل والتي على أساسها أقام نظريته في علم الأساطير، ويعدّ من أبرز أعمدة الفكر البنيوي، وله كتب عدّة منها: الأبنية الأولية لعلاقة القرابة، الأنثروبولوجيا البنيوية.

<sup>2</sup> ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ص 19.

والأسطورة وبالتالي يمكن تطبيقها على فنون أخرى من الأدب، فقصيدة قدور بالتومي التي نحن بصدد دراستها تحتوي على العديد من الثنائيات الضدية.

وقد نتجت هذه الثنائيات في ظلّ تنقّل الشاعر بين العديد من المناطق، فقد ورد في القصيدة ذكرها كتونس، ليبيا، مصر، بلاد الشام، إلى أن وصل مكّة المكرّمة والمدينة المنورة، فكلّ منطقة تجدّ بأثما تختلف عن سابقتها من حيث العادات والتقاليد والأعراف وطبيعة الأفراد والمجتمع في حدّ ذاته، فمن خلال هذه المعايير المختلفة نستطيع أن نستنبط من القصيدة ثنائيات ضدية ذات بُعد دلالي اجتماعي.

ويمكّننا هذا التحليل من الربط بين الوحدات الأساسية للقصيدة - والمتمثلة أساسًا في الثنائيات المتعارضة- والنظام الاجتماعي الذي ترعرعت فيه هاته الثنائيات التي هي بمثابة قيم وضوابط في المجتمع.

ويتجلى أيضا من خلال ذكر الشاعر لطبيعة المناطق التي يمرّ بها من حيث التضاريس وتباينها من حيث أهما جبال وصحراء ثمّ ينطلق إلى بحر أيضا ثنائيات ضدية ذات بُعد دلالي طبيعي. هذا بالإضافة إلى ما تحيلنا إليه هاته المناطق "جبال، صحراء" إلى طبيعة الغطاء النباتي وما يتولّد عنه أيضا من ثنائيات كالجذب والخصب.

وكلّ الثنائيات الموجودة في القصيدة تعدّ ثنائيات فرعية وهي وليدة أو نتيجة ثنائية ضدية كبرى وأساسية ألا وهي "الاستقرار والرحيل بعد ذلك". والذي يهّمنا في هذا المقام هو الرحلة والتي بفضلها يحاول الشاعر الوصول إلى مبتغاه، ويولّد انتقاله من مكان إلى آخر عدّة دلالات.

### 1- ثنائية: الاستقرار/ الرحيل

في هذه الثنائية اصطدام بين الاستقرار وبين الرحيل، فالأولى تمنع الذات من الاتّصال بالموضوع، في حين نجد الثانية هي الحلّ والوسيلة المساعدة للشاعر في تحقيق هدفه. لقد كان الشاعر أو الذات الفاعلة في حالة وصل بالاستقرار وفصل بالرحيل، ويسعى للاتّصال بموضوع القيمة وهو الحجّ الذي لا يمكنه الوصول إليه دون القيام بالرحلة. فبين هذه الثنائية تضادّ واضح فمكوث الشاعر لا يحقّق له أمنيته وبالتالي عليه محاولة الوصول إليها بالحركة والتنقّل وبالتالي تكون الرحلة هي الحلّ بالنسبة له.

هذا بالنسبة للشاعر، وعمومًا فإنّ الإقامة أو الاستقرار في نفس المكان تمثّل بالنسبة للإنسان البدوي الضيق والكآبة والمعاناة أو الموت تمامًا، وفي حركتهم حياة. "فلم تعد هناك أسباب كافية

للحياة، وكأثما الحياة نفسها ترتحل حين يرتحل النجع ويتركه لهومومه واليأس والشيخوخة يستبدان به. ومن ثم فالرحلة أصبحت معادلاً موضوعياً للحياة، والإقامة لم يعد بعدها إلا الموت<sup>1</sup>.  
ففي شعر النجوع وصف للأرض الخصب، وما نزل بها من أمطار، وما ينتج عنها من أعشاب وخيرات، وفيها وصف للإبل المحملة والأغنام المنتشرة في المروج، وهنا تنتعش حياة البدو وأنعامهم، وتؤكد لنا هذه الأشعار التي تتغنى بالنجعة أن الرحلة تعود عليهم بالفائدة سواء من الناحية المادية أو المعنوية.

وفي هذا يقول الشاعر أحمد بن سعود دويم<sup>2</sup>:

نَجْعِ الْعَرَبِ مِطَانِبَةً حِيفَانَهُ	أَعْطِيَهُ الْمِطْرُ وَالنَّصْرَ مِنْ مُولَانَا
نَجْعِ الْعَرَبِ وَاجْحَافَهُ	وَنَجْعِ الْعَرَبِ هَسَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَافَهُ
لِقَاهُ الْعُشْبِ مِتْخَالَفَاتٍ أَوْصَافَهُ	عَقِيفَةً وَلَمَصَ وَحَارَةً وَرَبِيَانَهُ
هَسَّتْ عُيُونُ الْحَيِّ رَدُّ أَرْيَافَهُ	حَنُوتٌ يَغْشِي شَرَّعُو بِيَانَهُ

"فعلى الرغم مما في الرحلة من مخاطر تحدى بالبدوي الشاعر، ومن مشقة فإنه يتوق إليها باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي تحقق ذاته، فمن الرحلة إلى مصادر العيش (= قيمة اقتصادية) إلى الرحلة إلى المكان المقدس (= قيمة ثقافية دينية)، إلى الرحلة إلى ربع المحبوبة (= قيمة إنسانية واجتماعية)، لا ينظر إلى حياته إلا من خلال الرحلة الموقفة التي يتمكن فيها من إنجاز المهمة المنوطة به، فلا عجب إذن أن ينظر إلى الحياة برمتها على أنها رحلة"<sup>3</sup>.

من خلال ما سبق نستنتج أن لعلاقة الذات بالموضوع "الرحلة" فضاءين:

### 1- الفضاء الأول باعتبارها علاقة اتصال الذات بالموضوع:

أو بمعنى أبسط أن تكون الرحلة وسيلة اتصال بين الذات والموضوع. عندما يكون الشاعر في حالة رحيل أو تأهب للرحيل لسبب من الأسباب، في هذه الحالة تكون الرحلة وسيلة للاتصال بالموضوع، تبدأ القصائد بملفوظ حالة ناشئة عن علاقة انفصال يعبر فيها الشعراء عن المعاناة، بسبب بعد الموضوع أو ابتعاده بُعداً سحيقاً فلا يسع الشعراء إلا إن يحضروا أنفسهم للرحيل في مسارات

<sup>1</sup> أحمد زغب، سيمياء الرحلة في الشعر الشفاهي، مجلة الفنون الشعبية، العددان 81/82 يناير 2009، ص 45.

<sup>2</sup> أحمد بن سعود من أولاد بن دويم فرع من قبائل الربيع، بدوار الماء، ولد أوائل القرن العشرين، أمضى طفولته وشبابه في البوادي الشرقية المجاورة للحدود التونسية. له قصائد في وصف مظاهر الطبيعة في البادية. ينظر التعريف بالشاعر وأبيات القصيدة: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 2، ص 93، 94.

<sup>3</sup> أحمد زغب، سيمياء الرحلة في الشعر الشفاهي، ص 44.

صورية تعبّر عن الذات (حرقة الشوق، معاناة من سهر الليالي، الحمّى، الشكوى من صدود المحبوب، أو وعورة الطريق... إلخ)

وفي هاته الأبيات يعبر قدور بالتومي عن شدة شوقه لزيارة بيت الله الحرام وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول:

قَلْبِي شَوْرٌ شَاهِي نَعَزَمُ      قَاصِدٌ بَيْتَ اللَّهِ  
لِمَقَامِ الرَّسُولِ نَدَوْرٌ      زَمَزَمٌ نَشْرَبُ مَاءَهُ  
قَلْبِي شَوْرٌ دَبَّرَ عَنِّي      يَا صَاحِبَ لُنْصَاحِ  
حُبِّ الرَّسُولِ مُدْرُوْنِي      لَا هَاجِعَ مِرْتَاخِ

هذا تعبير عن الشوق للحجّ، وسنذكر أبيات أخرى للشاعر علي عناد التي يشكوا فيها من بُعد المحبوبة، فيقول:

سَاهِرٌ طُولَ اللَّيْلِ بَايْتُ فِي حَالِهِ      فَقدْتُ خِيَارَ الْجِيلِ بِنْتَ الرَّجَالِ  
سَاهِرٌ إِنْحَمَمٌ فِي التَّعَبِ فِي حَالِهِ      سَهْرَانٌ لَا نَهَجَعُ رُقَادَ النُّومِ  
سَبَبٌ دَائِي مِنْهُ نَاسَهَا رَحَالِهِ      إِنْسَاقٌ نَجْعُهُمْ سَقْدَ عَزَمِ الْيَوْمِ<sup>1</sup>

أو تعبّر عن عنصر أو عناصر مساعدة كوسيلة قطع المسافة، الجمل والفرس أو غير ذلك من الوسائل التي يتغنى بها الشاعر في مسارات صورية، تشيد بالوسيلة المساعدة بحكم أنّها أمله الوحيد المساعد على الرحلة، في هذه الحالة تكون الرحلة موضوعاً جانبياً يحقّق للشعراء الموضوع الرئيسي: كالحجّ، الشيخ، المحبوب... إلخ.

أو تعبّر عن العناصر المعارضة، كوعورة الطريق وأنواع الأراضي والأخطار المهدّدة كالوحوش والغيلان واللصوص والجبال... إلخ. يقول الشاعر قدور بالتومي عن الجبال الوعرة:

جَبَلٌ مَحْلَحَلٌ قَابَلْنِي      جَبَّةٌ دَارٌ سَطَاخِ  
ثُمَّ يَصِفُ صَعُوبَةَ الصَّحْرَاءِ وَشِدَّةَ الْحَرَارَةِ فِيهَا قَائِلًا:  
وَمِنْ ثَمَّ خَشِيْتُ الصَّحْرَا      وَذِيَانَ وَشَمَّاسِ

ويقول الشاعر الساسي حمّادي عن الصعوبات والأراضي الخالية التي تفصله عن محبوبته:

دُونَكَ مَجَايِبٌ وَاسِعَةٌ وَكُرُوبَةٌ      أَدْخَالَ وَاعْرَهُ فِيهَا الشَّجَرَ ظَلِيلِ  
فِيهَا الْغَزَالُ وَتَعْلَبَهُ وَذِيُوبَةٌ      فِيهَا السَّحَالِي وَالْفَنَكُ قَلِيلِ

<sup>1</sup> محمد الصالح بن علي، من روائع الشاعر الشعبي علي عناد، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2008، ص 181.

ينجم عن ملفوظ الحالة، انتقال إلى الرحلة التي بدورها تحوّل للاتّصال بالموضوع (فا = فاعل، م = الموضوع، ∩ = اتّصال، ∪ = انفصال، ← ∩ ← = تحوّل بالاتّصال، ← ∪ ← = تحوّل بالانفصال) وبالتالي يكون الانتقال من الحالة إلى كالتالي:

فا ∪ م ← فا ∩ م<sup>2</sup>

## 2- الفضاء الثاني باعتبارها الموضوع في حدّ ذاته:

"أمّا النمط الثاني، فحين يستبدّ بالشاعر الشيب والمهرم ويقوم في الحاضرة، يشترق إلى حياة النجع، حيث كان يعيش بأحلامه وآماله، يملأ الدنيا حركةً ونشاطاً، يتوق إلى الحياة حين تكون ذات مبررات قويّة تملّي عليه أن يحيها، يحلم بالرحيل إلى ريع الحببية بل يرحل فعلاً لزيارة أقرابه وقريباته الذين سبقوه إلى المكان المعشب، وهو في حالة طرب وسعادة لأنّه ملتحق بهم لا محالة"<sup>3</sup>. أي تصبح الرحلة في حدّ ذاتها هدف.

وهذا مقطع من قصيدة للشاعر سميح الحجاجي<sup>4</sup> وهو في سجن تازولت بباتنة، يعبر عن شدّة حصرته من فراقه لأهله وتمنيهِ الرجوع إليهم، أي هنا غاية الشاعر الرحيل في حدّ ذاته كموضوع أساسي فيقول:

جَبَلٌ بَاتِنَةٌ وَغَلَاةٌ دَايِرٌ  
طَالَتِ الْمَدَّةُ  
وَقَتِ اللَّيِّ جَانِي عُمُرٍ هُوَ وَبَدَّهُ  
لَا جَوَابَ يَمْشِي لِأَخْبَرِ يَجِينَا  
وَلَا زِمَ عَلَيْنَا السَّابِقَةَ تَتَعَدَّى  
حَسَيْتَ قَلْبِي ذَابَ وَسَطَ كُنِينِي

ثمّ يتذكّر ابنته في نفس القصيدة فيقول:

بُعْدْنَاكَ يَا السَّمْرَةَ كِحِيلِ أَنْعَاتِهِ  
وُعَامِينَ لَا شَافَتْ خَيْالَ آبَاهَا  
طَالَ وَحَشَّهَا وَفَرَاقَهَا يَبْكُنَا  
بِنَادِمٍ يُعَدِّي السَّابِقَةَ فِي جِينِنِهِ

<sup>1</sup> محمد الصالح بن علي وحمادي محمد نافع، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، ص 102.

<sup>2</sup> أحمد زغب، سيمياء الرحلة في الشعر الشفاهي، ص 45.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 45.

<sup>4</sup> ولد مبروك بن معمر بن صالح فائزة الحجاجي المعروف سميح سنة 1920 بالبوادي الشمالية لمنطقة سوف، وعاش متنقلاً مع قبيلته من موضع إلى آخر وأتيح له أن يستقر بالحاضرة وبالتحديد "هبة" منذ الاستقلال، إلى أن توفي بها سنة 1994. ينظر التعريف بالشاعر وأبيات القصيدة: أحمد زغب أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 2، ص 126، 127.

"أما رحيل النجع، فهو تحوّل ينجم عنه ملفوظ حالة جديد يتّسم بالكآبة والمعاناة، هذه المعاناة لم يعد سببها الافتقار إلى الموضوع إنّما الافتقار إلى الرحلة نفسها إذ تحوّلت إلى موضوع بديل، فانفصال ذات الفرد (ببقائه في الحاضرة) عن ذات المجتمع (برحيله) إنّما هو المعاناة ثمّ الموت. وهذا ما يؤكّد الذهنية الشفاهية المندججة في الحياة الاجتماعية، إذ لا يغادر الفرد مجتمعه طواعية إنّما المجتمع هو الذي يرحل عنه ويتركه"<sup>1</sup>. يقول الشاعر الصغير قدور:

رحل نجع مبروكة كحيل أنظاره فرح نزلته وخلى بلايص دارة<sup>2</sup>

فالإنسان البدوي يسعى بهذه الحركة والانتقال إلى ضمان مصادر العيش ليضمن بقاءه من جهة وليحسن وتكون معيشتة أفضل. فهم يرون أنّ الحياة حلاوة مذاقها في الحركة والتحوّل من أجل توفير شروط الحياة.

فالرحلة تعدّ ضرورة سواء كانت وسيلة أو غاية في حدّ ذاتها، فالحياة الاجتماعية تفرض ذلك على الأفراد فكلّ تنظيم اجتماعي أو اقتصادي أو ديني ثقافي يقتضي القيام برحلة للتمكّن من تحقيق الأمان والرغبات وضمن العيش.

وكما ذكرنا سابقاً أنّ هذه الثنائية الضديّة هي الوحدة الأساسية التي تتولّد عليها باقي الثنائيات، والجانب الفعّال في هذه الثنائية هي الرحلة فبواسطتها زار الشاعر عدّة أماكن وكلّ مكان بطبيعته وخصوصيته ينتج لنا ثنائية ضديّة مختلفة عن الأخرى.

ففي هذا العنصر سنحاول تصنيف الثنائيات الضديّة حسب أبعاد محدّدة: نفسي، طبيعي، اجتماعي، ثقافي.

## 1- ثنائيات ضديّة ذات بعد نفسي:

- الأمان/ الخوف: لعلّ ما يجعل الإنسان مميّزاً عن الكائنات الحيّة الأخرى هو العقل، والإنسان بعقله ميّال إلى الأمن والاطمئنان والسكينة، وينبذ الصراعات والصدمات والحروب وكلّ ما من شأنه يثير في قلبه الخوف والقلق. وقد اخترنا أن نبدأ بهذه الثنائية بعد ثنائية الرحيل والاستقرار لأنّه أمر طبيعي حين يبدأ الإنسان رحلته يحسّ بعدم راحة إذ أنّه لا يضمن تلك الصحاري والأماكن الخالية، التي لا يوجد بها غير الوحوش والحيوانات المفترسة وقطّاع الطرق، وذلك يعود إلى أنّه خارج مكانه المعتاد، وليس بين أهله وناسه، وبالإضافة إلى ذلك أنّه لا يأمن شرور الطريق وما ينتظره فهي ليست

<sup>1</sup> أحمد زغب، سيمياء الرحلة في الشعر الشفاهي، ص 45.

<sup>2</sup> من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي (مخطوطات).

رحلة يوم أو يومين ويعود فهو يقطع مسافات هائلة على ظهر المهري وكما ذكرنا سابقاً أنّ مثل هذه الرحلة تصل حتى مدّة عام تقريباً بين ذهاب وإياب.

فشاعرنا قدور بالتومي مثلاً بعد سيره بين الجبال والغابات والشطوط والصحاري وفي البحر نجد أنّ شعوره بعدم الاطمئنان شعور طبيعي، بالإضافة إلى أنّه هناك مناطق كانت تعاني من الصراعات والصدمات بين العساكر والعدوّ كما صادفها الشاعر في ليبيا، والجميع يعلم صعوبة رحلة الحجّ لكن العزيمة والإرادة وشوقه وتوقه الشديد لزيارة بيت الله هو الدافع للمغامرة والمخاطرة بالنفس، وبعد هذه المغامرة المخيفة نجد أنّ الشاعر على يقين أنّه إذا وصل إلى مبتغاه فإنّه سيغلب كلّ الصعوبات والمخاطر، وأنّه في حماية الله تعالى وحفظه.

وهنا يكون شعور الشاعر مخالفاً تماماً للشعور الأوّل فالخوف يشكّل حاجساً ومثبّطاً للشاعر يحول بينه وبين تحقيق هدفه، وفي المقابل نجد الإيمان بالله وتذكّر الشاعر بين الوهلة والأخرى أنّه يغامر من أجل زيارة بيت الله نجده يترك وصف الأماكن التي يمرّ بها والمجتمعات التي يأتينا بأوصافها وكلّ ما يشاهده، ويبدأ في تحيّل بيت الله الحرام والدعاء لنفسه وللأمّة الإسلامية جمعاء، وهناك عامل آخر يزيد من اطمئنانه وشعوره بالأمن وهو مروره ببعض القبائل التي كان لها أثر بالغ على نفسية الشاعر وارتياحه، كذلك زيارته لبعض أضرحة الأولياء الصالحين والتبرّك بهم وأخذ النصرّة والاستعانة على بقيّة الطريق.

ومن خلال هذه المعطيات نستنتج أنّ ثنائية الأمان والخوف لها دور وعلاقة كذلك بالذات الفاعلة وموضوع القيمة فالخوف بدوره عامل مثبّط لحماسة وشجاعة الشاعر وفي حين نجد الأمان والإيمان بقدرة الله على رعاية المسافر وحفظه تعدّد عامل مساعد على وصول الذات لموضوعها. وفي هذه الثنائية لا نستطيع تحديدها أو ربطها مباشرة بالثنائية الأولى أي الاطمئنان والخوف موجودان في الاستقرار وفي الرحيل فهو شعور إنساني طبيعي ومشروع. فالأمان نجد أنّه شعور الشاعر المعتاد مادام هو في موطنه ومستقرّ بين أهله، وكذلك يشعر بالقلق والخوف وهو في وطنه بسبب شوقه الشديد لزيارة البقاع المقدّسة؛ نجد في استقراره الحالتين: الأمان والقلق. ونجد في رحلته أيضاً ذلك الشعور المتضارب كما ذكرنا في بداية هاته الثنائية، أي شعور بالخوف والرهبّة والمغامرة والخطورة لأسباب عدّة ذكرناها، ونجده يشعر بالراحة والأمن في أماكن أخرى يحسّ فيها أنّه بين أهله، وكذلك عند زيارته للأولياء كما ذكرنا.

وقد جسدت لنا القصيدة عدّة مواقف أمن وخوف نذكر منها الموقف الذي يصوّر المجاهدون الأحرار في ليبيا كيف أتهم يلحقون الهزائم بعساكر الطليان، وهذا طبعًا يثير قلق المسافرين في تلك المناطق، فيقول الشاعر:

وُعَسَاكِرْ عَاسَّةَ مَرْتُوبَةَ      عَن جَالِ الْجِيَهَاءِ  
عَن دِينِ النَّبِيِّ مَجْدُوبَةَ      لِيَا حَشْدُو لَعْقَابِ  
فِي الْكُفْرَةِ مَا خَلَّوْ عَقُوبَةَ      بِالْمَاضِي وَزُنَادِ

أما عن المواقف التي أحسّ فيها الشاعر بالأمان فهي أيضا متنوّعة نشير إليها كزيارة عبد السلام الأسمر وزيارة القدس وزيارة الحسين بن علي بن أبي طالب، يقول الشاعر:

لَا قَيْتَ النَّاسِ النَّخِرَهَا      وَخَمَسْتُ بِلِخَمَاسِ  
زُرْتُ الْحُسَيْنَ بِنَ الرَّهْرَةَ      بِنَ الصَّيْدِ الدَّعَّاسِ  
بِنَ عَلَّةَ هَشَّامِ الْكُفْرَةَ      رَبَّابِ الْمُرَّاسِ  
يَرْوِينِي مِنْ جَمَّةَ بَحْرَهُ      وَقَبَضْتُ الْمِرْدَاسِ

## 2- ثنائيات ضدّية ذات بعد طبيعي:

- الخصب/ الجذب: يقدّم لنا الشاعر من خلال وصفه لبعض المناطق صور تحيلنا إلى حالة تلك المكان، كونه موضع خصب زاهي بالخضرة والأشجار والنباتات ومرتع للغزال والطيور ينشرح فيه صدر الكائن الذي يسير فيه، أو هو مكان جاف قاسي جذب لا يوجد به ماء ولا كلاً فهو لا يصلح لا للعباد ولا لغيرهم.

ويختلف تصوير الشاعر هنا فنجده يفرح ويتشجّع ويتحمّس في المناطق الخصبة لأنّه لا محالة سيستفيد من خيراتها وثمارها ومياها سواء لنفسه أو لمطيّته المهري، وفي المقابل نلاحظ تعكّر في مزاجه وبغضه للمناطق القاحلة الجدبة وتكدره منها لأنّها لا تتوفّر على أبسط شروط الحياة.

وهذا هو الدافع الذي يضطرّ أهل البدو للنجعة والاستقرار المؤقت في الأراضي الخصبة منتجعين أعشابها وماءها وجلّ خيراتها من رعي لأنعامهم وصيد للحيوانات البرية كالغزال والأرنب وغيرها، إلى أن يتركوا هذا المكان باحثين عن مكان آخر فالمكان الأول سيصبح جذب لا محالة فهو لن يدوم على حاله.

ومعلوم أنّ الخصب يعدّ من أكبر الدواعي للسرور والابتهاج، وبالتالي نجد العديد من الشعراء يتغنّون بالمطر والزرع والخصب، من بينهم الشاعر الشعبي الحاج سعد بن حمّة الصالح الزغدي<sup>1</sup> فيقول:

مِثْمَنِّي عَالِي لَقْدَارُ      يَدُلُّ هَا السَّاعَةَ بِالْخَيْرِ  
نِي مِثْمَنِّي سَبَعِ أَمْطَارُ      يَنْحُو مِنْ قَلْبِي التَّخْمِيمِ  
كُلُّ هُوذٍ بَغْدِيرُهُ مَلْيَانُ      وَالْعَلْبِ مَقْسَمٌ بِالسَّيْلِ  
وَالصَّحْرَا كِي الزَّنْزَارُ      عَادَتْ تَتَخَالَفُ فِيهَا الْعَيْنُ  
وَإِنْتَ فِي وَسْطِ الْعُرْبَانِ      بَيْتِكَ مَبْسُوطَةٌ بِالْخَيْرِ

ثمّ يقول الشاعر أيضا:

خَالَكَ زُوزٌ بَنَاتٌ صَغَارُ      مِثْمَنِّي عَالِي لَقْدَارُ  
مِثْمَنِّي عَالِي لَقْدَارُ      مِثْمَنِّي عَالِي لَقْدَارُ

وهنا نلاحظ أنّ الخصب له دلالات أو اعتبارات أخرى، فالشاعر عندما تكون الأرض خصبة معطاءة يصبح يتمي أن تكون زوجاته فتاتين شابتين جميلتين وأصيلتين، والكلّ يعلم أنّ المرأة هي دلالة على الخصوبة والتكاثر والعطاء، فهي بعيدة كلّ البعد عن الجذب والشح، وبالتالي تكون الخصوبة مرتبطة ببعضها البعض فمادام الزواج يبعث الفرح والسرور في قلب المعنيين وباقي أفراد العائلة فإنّ الأرض الخصبة أيضا تبعث الفرح والابتهاج في قلوب الناس.

هذا بالنسبة لأهل البدو عموماً، أمّا عن شاعرنا قدور بالتومي فسنورد له بعض الأبيات التي تدلّ على الخصب وأخرى تحيلنا إلى الجذب:

جَبَلٌ لَخَضْرُ خَشْتِ جُبُوبَهُ      بِسَجُورَةٍ تَسْوَادُ  
عَرَعَارُ مَهَيْشٍ بِخَشُوبَهُ      نَبَتْ لَمَالَهُ عَدَادُ

وكذلك يقول في موضع آخر:

جَتَّ مَطْرَهُ مَوَاطِي رَاقُوبَهُ      خَمْسَ أَيَّامٍ أَعْدَادُ  
وَبَحَايِرُ تَفْرَعُ مَصْلُوبَهُ      وَهَمَّ أَيْمٍ وَغَبَّ أَعْدَادُ

وفي موضع آخر يقول:

بِلَادُ عُرُوبَهُ فِيهَا الصَّابَةُ      وَنَعَاجُ وَبَعِيرُ

أي في الأماكن الخصبة يعيش البدو ويستفيدون من الغلّة هم ومواشيهم وإبلهم.

<sup>1</sup> ولد الشاعر سعد بن حمّة الصالح بن أحمد الزغدي الجامعي نسبة إلى قبيلة أولاد جامع، حوالي سنة 1860 عاش في بلدة الرياح في بيئة بدوية، فقد كان قومه يرحلون إلى المنتجعات البدوية الجنوبية الشرقية حيث كان يمتلك الغنم والإبل، توفّي حوالي سنة 1953. ينظر التعريف بالشاعر وأبيات قصيدته: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 96، 98.

فالبساتين والغرس والزرع والأشجار والأمطار هي رمز الخصب والعطاء وفي مجملها صور للحياة، واللون الأخضر دائماً عنده دلالة خاصّة تميّزه عن باقي الألوان، فهو مرتبط دائماً بالحياة. في مقابل الجذب الذي يقابله دائماً الخلو والصفار من الأراضي القاحلة، والصفار دائماً يحيل إلى المرض. - المرونة/ القساوة: وهي أيضاً ذات دلالة طبيعية ونحن نقصد بهاته الثنائية وعورة الطريق بسبب اختلاف الأراضي بين أرض سهلة يسيرة في العبور سواء على الشاعر أو على ما يمتطيه، وأرض صعبة كالجبال والصخور. ولهذا أثر بالغ في التأثير على الذات الفاعلة "الشاعر" في الوصول للموضوع "الحجّ" ففيها اصطدام وصراع فالمرونة بمثابة العنصر المساعد، والقساوة بمثابة المعارض.

والإنسان بطبعه يميل إلى السهل واليسير خاصّة وأنّهاته الأمور قد تؤدّي به إلى البقاء على قيد الحياة أو إلى الموت أحياناً، وبالتالي المناطق المرنة المطاوعة للسير تشجّع الشاعر وتعطيه حماساً وتحفيزاً على مواصلة الرحلة وعدم الاستسلام، وهذا أمر طبيعي فالسهل والحسن دائماً يشجّع. وفي هذا يقول قدور بالتومي:

وُقُطِعَتْهُ كَامِلٌ فِي نُوبِهِ      عَلَى ظَهْرِ الْغَدَاذِ

أي أنّ الشاعر اجتاز مسافة طويلة في دفعة واحدة على ظهر الجمل المذلّل للركوب وسريع الجري، وقد أورد الشاعر هذا البيت بعد الأبيات التي تتحدّث عن الخضرة والخصب، أي أنّ الأراضي المرنة تسهّل المهّمة على الراكب والمركوب. وهذه أبيات تصف طريقة سير الجمل في المناطق المرنة فيقول:

يَقْطَعُ الْمَهْرِي وَرُكُوبَهُ      يَقْضِي فِي لَبْعَاذِ  
مُرَارِبٍ وَخَطَايَ مَرْتُوبَهُ      لِمَقَامِ التَّشَادِ

والأراضي الوعرة تشكّل صعوبة على الجمل والمسافة التي سيقضيها في يوم ستمدّد وتستغرق أكثر من ذلك، هذا بالإضافة إلى إنّ أي خطر أو قطاع طرق ستشكّل صعوبة الطريق عائناً أمام الشاعر والجمل. وبالرغم من وجود هذه العوائق نجد الشاعر وباقي جمهور المسلمين يثابرون ويخاطرون ويتحمّلون الصعاب من أجل الوصول إلى بيت الله الحرام.

فالقساوة والمرونة تتعلّق بجانب آخر وهو تغيّر الزمن ففي الماضي ومع نقص الإمكانيات والوسائل المتطوّرة، وإنّ تظهر بصفة ضئيلة فهي ليست في متناول الجميع، فكانت الرحلة تستغرق

عامًا تقريبًا، وفي ظلّ التطوّر والتقدّم اللذان عرفتهما البشرية أصبحت الرحلة للحجّ تستغرق ستّة ساعات. وفي هذا يقول الشاعر عبيد بن دثة<sup>1</sup>:

إِدْخَلَ لِلْهَاءِ مَشُومٌ شَعْلٌ فِيهَا نَارٌ  
طِيرٌ بِلَا رِيَشٍ صَفَّقَ بَيْنَنَا طَارٌ  
عَادَ الرَّعْدُ يَزُومٌ فِي السَّحَابِ تَلْفَلْفَلَهُ  
حِينَ لَخَشَ غَمَامٌ بَانَتْ وَرَقْلَهُ  
قَابَلْتَنِي دَشْرَهُ عَالِيَةً قَبْلَةَ هُقَّارِ  
مِنْهَا طَرِيقٌ قَرَّبَ تَفْلَلَفَلَهُ<sup>2</sup>

ولا تقتصر القساوة والمرونة على الأرض فقط وإنما تدخل فيها حتى قساوة المناخ وتقلباته، فالشمس الحارقة والزوابع الرملية خاصّة في المناطق الصحراوية، فهذا أيضا دور بالغ الأهمية في عرقلة سيورة الرحلة. وفي المقابل نجد المرونة لما يكون المناخ معتدل والجوّ صافي فهذا يؤثر بالإيجاب على سيورة الرحلة ونجاحها.

### 3- ثنائيات ضديّة ذات بعد اجتماعي:

- الكرم/ البخل: إن الكرم من الأخلاق العريقة القديمة التي عرفها منذ الأزل أصحاب النفوس العظيمة، فأقحموها في تعاملاتهم ومدحوا بها ساداتهم وجعلوها دليل الرفعة والفخار وغاية الجمد لما فيها من الإيثار وعلو الهمم والأقدار، وكانت عندهم نقيض اللؤم والبخل وفي فقدانها كل مذمّة وعار فالكرم عادة السادات وشيمة الأحرار. فالكرم والجود من السمات النبيلة التي ترفع من شأن الفرد والجماعة، فالإنسان الكريم يتكون لديه رحمة وقناعة بما أتاه الله وهو مؤمن أنّ جوده لن ينقص ممّا يملك بل يزيده رفعة ومكانة بين الناس.

وفي هذا قال أحد الحكماء: أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه .

فلقد كان للبيئة العربية دور كبير في بروز هذه القيمة الأخلاقية، فكانت صحراء قاحلة وكان سكانها من البدو في ترحال مستمرّ فراراً من الجذب وبحثاً عن موارد المياه والكلأ. تلك البيئة جعلت العربي يدرك قيمة إكرام الضيف وإعانة المحتاج ونصرة المظلوم وغيرها من القيم النبيلة فكان يتشبث بهذه القيم حتى تعمّ وتنتشر ويعود إليه في النهاية خيرها ويشمله أثرها.

<sup>1</sup> هو عبد الله بن علي بن بكّار بككرة المعروف بعبيد بن دثة، ولد في الرقبية سنة 1889 قضى طفولته في القرية وحفظ ما تيسر له من القرآن، وكان أهله يرحلون إلى البادية وهكذا قد اختلط ببعض شعراء البدو. ينظر: أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 2، ص 90.

<sup>2</sup> من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي (مخطوطات).

وهذا فعلاً ما لقيه الشاعر من أهل البدو، حتى أحسن أنه بين أهله وأقاربه، وخفف عنه ذلك الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن. وهو سعيد جداً لما رآه وهو يثني عليهم في قصيدته ويذكر مآثرهم خصالهم النبيلة، يقول قدور بالتومي:

بِتَنَا فِي رِدَّةٍ وَعُرُوبَةٍ      نَسْبَةَ نَاسٍ أَجْوَادٍ  
عَدُّهُمْ بِالْهَيْلَةِ سَبُوبَةٍ      وَحُرَايِرَ وَاجْجُودِ

فهذه الخيرات الوفيرة يجودون بها على ضيوفهم بسخاء، وهذا مهم بالنسبة للشاعر فيشعره بالراحة النفسية والاطمئنان.

وفي المقابل يعتبر البخل من أسوأ الصفات التي يكرهها العرب، بل كانت وما زالت من الصفات القبيحة التي تقلل من الرجولة، وكان نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم يتعوذ منها كما ورد في الحديث الشهير: أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ حَمِيدٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»<sup>1</sup>

فالبخل دليل على قلة العقل وسوء التدبير، وهو أصل لنقائص كثيرة، ويدعو إلى خصال ذميمة، ولا يجتمع مع الإيمان، بل من شأنه أن يهلك الإنسان ويدمر الأخلاق كما أنه دليل على سوء الظن بالله عز وجل. فالبخيل محروم في الدنيا مؤاخذ في الآخرة، وهو مكروه من الله عز وجل مبغوض من الناس، وصدق من قال: جود الرجل يجبهه إلى أصداده، وبخله ييغضه إلى أولاده. فهو إذن خصال معارض تماماً للكرم، ومثبط لجهود الشاعر، لذلك نجدته يتغنى بالكرم لما فيه من محاسن سواء على صاحبه أو على الناس، ويتجاهل تماماً البخل والبخلاء.

#### 4- ثنائيات ضدّية ذات بعد ثقافي:

– المقدّس/ المدنّس الدينيوي: المقدّس من وجهة النظر الشعبية هو كلّ ما يتصلّ بالقوى الغيبية الخيرة، والتي قدراتها تفوق كلّ قدرات الإنسان، ونجد الإنسان يسعى دائماً لاسترضائها والاستجابة

<sup>1</sup> النسائي، السنن الكبرى، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، ج 7، الحديث رقم 7878، ص 225.

لرغبتها وطاعتها، ونيل بركتها، والنصرة في الأعمال بسبب قدرتها الخارقة. ويتجنّب الإنسان الإثم والردائل وكلّ ما من شأنه يتصلّ بالمدنّس.

أما المدنّس فهو القوّة المضادّة؛ أي القوى الغيبية الشريرة التي بدورها تسعى جاهدة لتأخذ بيد الإنسان إلى الإثم والمعاصي والذنوب، أي تجرّه إلى ما يتنافى مع قيم المجتمع المؤمن بما يملّيه المقدّس، تبعده عن المحامد والأخلاق، وهو ممثّل في الشيطان، إبليس، النفس فهؤلاء يأخذون الإنسان للتهلكة وهو لا يدري.

ويتمّ التقرب من المقدّس بألفاظ وتعويذات وتراكيب خاصّة باعتقاد أنّ لها مفعول سحري إيجابي، يحفظ الإنسان ويحميه من السقوط في دائرة الشرّ وهي "المدنّس" أي تبعده عن كلّ ما يوسخ المرء بالمعاصي والأخطاء. وهناك ألفاظ شعائرية معبّرة عن المقدّس (الله، ربي، المولى، شفيع النّاس) والقصيدة غنية بمثل هاته الألفاظ وكمثال عن ذلك (بيّه المولى كمل عيّ) وكلّ ما يمثله من أماكن للعبادة كالمساجد.

أمّا المدنّس فيتمثّل في الأعمال الشريرة التي هي استجابة لرغبة الشيطان: القوّة الميتافيزيقية الحاتّة على الشرّ والعصيان، كما أنّ رغبة دينية في الإنسان سهلة الانقياد إلى قوى المدنّس تسمّى النفس، وفي النصوص المقدّسة في الديانة الإسلامية ديانة المجتمع المنتج لنصّ الشعر تسمّى "النفس الأمّارة" قال الله تعالى في سورة يوسف الآية 53: ﴿وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِنَّ مَا رَحِمَ رَبِّيْ إِنَّ رَبِّيْ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾، مقابل "والنفس اللّوامة" التي هي نفس خيرة، قال الله تعالى في الآية 2 من سورة القيامة: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾<sup>1</sup>.

وعلينا الإشارة في هذا المقام أنّ القصيدة تتحدّث عن المقدّس، أمّا المدنّس فهو مستبعد قليلاً فنستبدله بلفظ المقدّس الديوي، لأنّ الشاعر تحدّث عن أمور دينوية عادية بعيدة كلّ البعد عن الإثم والمعاصي. فيكون تمثيل الثنائية بين الأمر المقدّس كالحجّ في حدّ ذاته في مقابل أمور الدنيا المقدّسة كالأضرحة والقباب، ومثال ذلك: من القصيدة: (دهم في لسمر وأقبابه) و (زرت الحسين بن الزهرة) و (قدّست وهزيت النصره)

وفي القصيدة عدّة مواقف يكون الشاعر فيها يدعي ويطلب من الله تعالى كقوّة مقدّسة مغفرة الذنوب ومحوها، وأن يشفع نيّ الأُمَّة الإسلامية في أمّته، ومثال ذلك يقول الشاعر:

نَادَانِي الطَّاهِرُ وَأَصْحَابُهُ      أَبَا الزُّهْرَةَ البَشِيْرُ

<sup>1</sup> ينظر: أحمد زغب، جمالية الشعر الشفاهي نحو مقارنة سيميائية أسلوبية للنص الشعري الشفاهي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، 2006/2007، ص 308.

شَفِيعَ النَّاسِ الْمَدْنَابَهُ

مَا بَيْنَ صَوَامِيرَ

ويتمى الشاعر الترفع عن كل أمور الدنيا والتعلق بما هو أصح وأمتن، ويتمى أن يموت في الأرض المقدسة، فيقول:

رَبِّي يُقْتَلْنَا فِي فِي تَرَابَهُ      فِي ذِكْرِهِ وَرُوضَاهُ  
يُرْوِينَا مِنْ حُوضِ شَرَابِهِ      وَسَطِ الْجَنَّةِ عَمَاهُ

وفي مواضع أخرى نجد الشاعر يحتمي بما هو مقدس دنيوي، كقوله:

قَدَسَتْ وَهَزِيَّتْ النَّصْرَهُ      مِنْ أَسْيَادِي الرَّيَّاسِ

وهذه قصيدة أخرى للشاعر محمد بن تواتي لكويني، الذي كان يدين بالولاء والاحترام للمقدسات الدينية والأولياء الصالحين وبخاصة الشيخ عبد القادر الجيلاني، ويُقال أنه أصيب بمرض وطال به حتى استيأس. وهذه من القصائد المطولة التي يصرح فيها بمرضه ويذكر فيها كرامة شيخه ومساعدته على الشفاء من علته، يقول الشاعر:

يَا زَايِسْنَ الصُّلَّاحُ      مَاكُ سَيِّدِي عِبْدَ الْقَادِرِ  
تَرْفِدُ اللَّيِّ طَاحُ      يَا الشَّرْقِي دَوْرَ لِي  
شُوفَ يَا مَاذَا نَرَا جِي      لِي خَمْسِ سُنِينَ  
بِي وَاجِي فِي الْجُوجِي      غِيْرُ أَنْلَاجِي  
غِيْشِي بِدَوَاكُ سَاجِي      تَبْرِي لِي لَجْرَاحُ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 29، 30.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكننا أن نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال أبرز الإشكاليات والتساؤلات المطروحة:

- الرحلة هي: انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة، وأسباب متعدّدة، كما أنّها محاولة لارتياح المجهول، والعودة بالأخبار والصور عمّا كنا نجمل وجوده. أو هي سعي الإنسان وتحمل مشقة السفر واختراق حاجز المسافة على امتداد الأرض الوعرة حيناً، والأرض غير الوعرة أحياناً أخرى، لإتمام الرحلة وجني ثمراتها في نهاية الطريق. فالرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته، وكما لعبت دورها في الكشف الجغرافي فقد يحصل معها أيضاً الاتصال بين الشعوب، واكتساب معرفة الواحد بالآخر خصوصاً فيما يتعلق باللغة والتقاليد والعادات، الأمر الذي جعل المؤرخون يرون أنّ تلك المعرفة قد وضعت الجذور الأولى لمادة الإثنوغرافيا التي تشكل بدورها قاعدة هامة للمقارنة بين النظم الاجتماعية لدى البشر.

- إنّ الرّحال إنسان مدفوع للحركة لأسباب طبيعية، وجمالية، وعقلية، إضافة إلى الأسباب الروحية، أي أنّ للرحلة دوافع ودواعي فهي لم تأت هكذا عبثاً، ومن هذه الدوافع:

- دوافع دينية
- دوافع علمية أو تعليمية
- دوافع سياسية
- دوافع سياحية وثقافية
- دوافع اقتصادية
- دوافع صحّية

- وللرحلة نوعين هما:

- رحلات فعلية وهي التي يكون لها دوافع ملموسة كأن يكون دافع علمي...
- رحلات خيالية وهي التي لا تتأسس على الوجود الفيزيائي أو التجربة المعيشة في الواقع، إنّما تتجسّد في الخيال.

- ويسمى شعر الرحلة بشعر الطريق وهو من أغراض الشعر الملحون شعر الرحلات ذلك الشعر الذي يصف فيه الشاعر رحلة من مكان إلى آخر، فيذكر الطريق وما فيه أو فيما يجاوره من معالم، ويعمد أحياناً إلى وصف تلك المعالم من مياه وأودية ورواب ورمال وجبال، وما في هذا كله من أشجار وأعشاب إذا كانت الرحلة صحراوية.

- إنَّ القصائد الشعبية الخاصّة بالرحلة تكون بمثابة الخريطة الجغرافية التي تبرز لنا أهم المناطق التي يتقصد الشاعر ذكرها عندما يكون الهدف لفتك الخصومات بين القبائل، أو يذكرها هكذا تلقائياً عندما يصف لنا رحلته وأهم المواضع أو "لبّيار" كما هو عند البدو.

- للرحلة في الشعر الشعبي عناصر ثابتة لا بدّ من توفرها حتى يكتمل المعنى والتصوير، وتمثّل هذه العناصر فيما يلي:

● الإشارة إلى الدوافع، أي أن يبيّن الشاعر غرض الرحلة وهي متعدّدة عند أهل البدو كالرحلة للحجّ أو إلى نجع المحبوبة أو إلى أي دافع آخر كأن يكون صحّي أو تجارة...

● وصف المركوب "وسيلة النقل"

● الزاد والمؤونة

● وصف الطبيعة

- للرحلة في الشعر الشعبي أنواع:

● رحلات خيالية من وحي خيال الشاعر، إذ يصعب تحقيقها على أرض الواقع فيتخيّل الشاعر مفازات واسعة لا يقطعها إلّا بطل مغوار.

● رحلات واقعية

● الضحضاح الخادع

- إنَّ الرحلة إلى المقدّس تحمل معاني خفيّة لا تفهم من ظاهر الكلام، فهي تتضمّن انتقال أو تجاوز من الرحلات الحياتية العادية المألوفة فحياة البدو أصلاً قائمة على الحلّ والترحال، إلى الرحلة الدينية المقدّسة فهي رحلة غير عادية، ففي داخلها وبين طيّاتها هي رحلة للخلود. أي الخلود ما بعد الموت ففي الرحلة الدينية نلاحظ عمق وُعد في التفكير، للخلود في الجنّة والفوز في الحياة الآخرة، وبالتالي يعدّ هذا النوع من الرحلات هو الأسمى والأرفع والأرقى.

- تتميز الرحلة الدينية عن باقي أنواع الرحلات الأخرى، ويتجلّى ذلك في العمق والصدق في التصوّر والتفكير، باعتبار أنّ الهدف أو الدافع لهذه الرحلة هو أمر مقدّس يتجاوز باقي الأهداف والدوافع الأخرى، على الرغم من الأذى والخطر اللذين يواجههما صاحب هذا النوع من الرحلات، لكنّ تجده في نفسه مسرور ومبتهج ويطلب الله بأن يرزق جميع المسلمين بما رزقه لأنّه فاز برضاء الله ومغفرته ورحمته.

الملاحق

## النص الأول للشاعر قدور بن التومي

قَلْبِي شَوَّزَ شَاهِي نَعَزَمَ  
 لِمَقَامِ الرَّسُولِ نُدَوَّرَ  
 قَلْبِي شَوَّزَ دَبَّرَ عَيِّي  
 حُبُّ الرَّسُولِ مُدْزَوِّلِي  
 نُوْدُّكَ عَنْ سَاقِ مِثْيِي  
 مَدَّلَلْ مِنْ صُغْرِهِ مِثْهَيِّي  
 بِيهِ الْمَوْلَى كَمَلْ عَيِّي  
 اِرْكَبْتَهُ وَصَّ بَحْتِ مَوِّي  
 جِيْبَهُ نَفْرَاوَةَ مِنْ قِبْلَهُ  
 عَجَّالْ طَوِيلْ يَدْهَيِّي  
 وَالْكَفْرَةَ خَطُّوْهُمْ عَيِّي  
 فِي السَّبْحَةِ نَارِ مَرْحَلِي  
 مَدُوبْ وَفَاهِمْ عَنْ ظَلِي  
 سَيِّدِي بُوعَجِيْلَةَ وَكَلْنِي  
 اَجْبَلْ مَحْلَحَلْ قَابَلِي  
 رَاسَهُ مِنْ ظَهْرَةِ حَدْرِي  
 رَبِّي وَالشَّيْخَ مَحْبَبِي  
 بِلَادْ نَحْلْ وَبُنِي مَبْنِي  
 بِنَنَا فِي السَّاعَةِ وَتَرَابَهُ  
 دَهْمْ فِي لَسْمَرِ وَقَبَابَهُ  
 وَعَطَانِي دَعْوَةَ مُوجَابَهُ  
 يُجِيْبُهُ عَنْ زَاوِيَةِ مُصْرَاتِهِ  
 فِي الشَّطِّ نَقَابِلِنِ عَابَهُ  
 خَلْفَهَا وَقَعَدَتْ فِي اعْقَابَهُ  
 رَاحِلْ كَيْفَ اِفْطُوْعِ سَحَابَهُ

قَاصِدٌ بَيَّيْتِ اللّٰهَ  
 زَمَزَمَ نَشْرَبُ مَآهَ  
 يَا صَاحِبَ لَنَصَاحِ  
 لَأَهْجَاعِ مِرْتَأِي  
 وَمَخْرَطُ لَزَمَآخِ  
 لَأَرْدَهُ فِي مَمْرَاحِ  
 جَلْبُوهُ الصُّلَاخِ  
 مَمْعَ وَهَيِّ السَّبَّاحِ  
 عَمَّرُ شُورَهُ رَاحِ  
 بِتْ وَتَارَ صَبَّاحِ  
 وَأَعْمِي السَّبَّاحِ  
 بِحُطُوَةِ تَسْرَاحِ  
 مَنِينِ نَمِيحِ مَآخِ  
 خَلِيَّتِ الْمَطْرَاحِ  
 جَبَّهَ دَارَ صَطَّاحِ  
 دَلَّتِ الْمُقْصَاعِ  
 وَالْهَادِي مِفْتَاحِ  
 بِنَنَا فِي رِدَاةِ  
 زَكَيْتَهُ نَارَ يُسَيِّرِ  
 وَأَطَعَمَنَا السَّبِيلِ  
 مِنْهَا نَلَّتِ الْخَيْرِ  
 فِيهَا قُطْبِ كَبِيرِ  
 فِيهَا نَحْلِ كَثِيرِ  
 خَشَّ الصَّخْرَا الْغَيْرِ  
 خَلَّى السَّيْلِ غَدِيرِ

قَصْرٍ حَمِيدَةٍ جَاءَهُ وَجَابَهُ  
 عَتَبَتْ وَشَدَّيْتُ حَقَابَهُ  
 بِلَادٍ عُرُوبَهُ فِيهَا الصَّابَهُ  
 نَادَانِي الطَّاهِرُ وَأَصْحَابَهُ  
 شَفِيعِ النَّاسِ الْمِدْنَابَهُ  
 يُومِ اللَّشِي تَبْدَا حَسَابَهُ  
 رَبِّي يُفْتِنُنَا فِي تَرَابَهُ  
 يَرُونَا مِنْ حُوضِ شَرَابِهِ  
 بِنَنَا فِي رِدَّةٍ وَعُرُوبَهُ  
 عَدُّهُمْ بِالْهَيْلَةِ سَبُوبَهُ  
 بَكَرَتْ الْخُطُوبَةَ مَزُوبَهُ  
 رَاحَلْتَهُ فُوقَهُ مَرْكُوبَهُ  
 جَبَلٍ لَحْضَرٍ خَشِيْتُ جُبُوبَهُ  
 عَزَّعَارُ مَهَيْشٍ بِخَشُوبَهُ  
 وَقُطَعَتَهُ كَامِلٍ فِي نُوبَهُ  
 جَحْتِ مَطْرَهُ مُوَاطِي رَاقُوبَهُ  
 وَنَحَايِرُ تَفْرَعُ مَصْلُوبَهُ  
 وَعَسَاكِرُ عَسَّةٍ مَرْتُوبَهُ  
 عَنِ دِينِ النَّبِيِّ بِمَجْدُوبَهُ  
 فِي الْكُفْرَةِ مَا خَلَّوْا عَقُوبَهُ  
 يَقْطَعُ عِ الْمَهْرِي وَرُكُوبَهُ  
 مَزَارِبُ وَخَطَايِي مَرْتُوبَهُ  
 شَفِيعِ النَّاسِ الْمِدْنُوبَهُ  
 رَبِّي يُفْتِنُنَا عَنِ نُوبَهُ  
 فَالِي وَأَيَّامَهُ مِنْكُوبَهُ  
 بُنْنَا فِي الْعَسَّةِ وَعَسْكَرَهَا  
 وَمِنْ تَمَّ تَارُ وَبُكَرَهَا

سَحَلٌ تَوُ يُطِيرُ  
 خَشِشٌ بِلَادٌ سُرِيرُ  
 وَنَعْمَ أَسْجُوحٌ وَبَعِيرُ  
 إِبَّالِ الرَّهْمَةِ الْبِشِيرُ  
 مَا بِيْنِ صَوْمِيرُ  
 فِي الْأَصْهَدِ مُحَاشِيرُ  
 فِي ذِكْرِهِ وَرَوْضَاهُ  
 وَسَطِ الْجَنَّةِ عَمَاهُ  
 نِسْبَةُ نَاسِ أَجْوَادُ  
 وَأَحْرَائِرُ وَاجْوَادُ  
 طَائِعِي التَّقْوَادُ  
 عَنْهَا دَرْتُ الرَّزَادُ  
 بِسُجُورِهِ تِسْوَادُ  
 نَبَتْ لَمَالَهُ عَدَادُ  
 عَلَيَّ ظَهْرُ الْعَدَادُ  
 حَمْسِ أَيَّامِ اعْدَادُ  
 وَهَمَّائِمُ وَعَبَّادُ  
 عَنِ جِوَالِ الْجِيَهَادُ  
 لِيَا حِشْدُوا لَعَقَابُ  
 بِالْمَاضِي وَزَنَادُ  
 يَمُضِقُضُ فِي لَبَعَادُ  
 لِمَقَامِ النَّشَادُ  
 لِيَا خَشِيْتُ لَصَهَادُ  
 الْوَقْتِ لَوَاشِ شَقْمَاهُ  
 يُولِي عَنِ مَوْلَاهُ  
 وَصَّ بَحْنَا لِأَبْنَانُ  
 فِي الْخَطُوبَةِ سَرْوَانُ

عَنْ بَرِّ الْمِصْرِيِّ حَدَّزَهَا  
 عَنْ بَحْرِ النَّيْلِ مَعَدَّزَهَا  
 يَسْتَقِي فِي الْوُطَا وَسَجَّرَهَا  
 لَأَقِيَتْ النَّاسَ الْبَحْرِيَّهَا  
 زُرْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ الزُّهْرَةَ  
 بِنَ عِلَّةٍ هَشَامِ الْكُفْرَةَ  
 يَرْوِينِي مِنْ جَمَّةِ بَحْرَةَ  
 قَاصِدٌ جِدَّةَ حِلْوِ الدُّكْرِي  
 وَمِنْ تَمَّ حَشِيَّتِ الصَّحْرَا  
 مَتَقَدَّوِي رَاكِبٌ عَنْ ظَهْرَةَ  
 وَمِنْ تَمَّ نَا جَبَّتِ الْحَجْرَةَ  
 قَدَّسَتْ وَهَزَيْتِ النَّصْرَةَ  
 مِنَ الْعَشْوَةِ قُبَّةُ ثَبَانِنَا  
 فِيهَا لَمَجْدُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ  
 فِي الْجَامِعِ مَصْنُوعِ النَّيَّةِ  
 حَشِينَا وَسَلَّمْنَا عَنْهُ  
 مِنْهُ بِالْوَاغِي كَيْلِنَا  
 مِنْ كَيْلِهِ لِأَفِيهَا مِنْهُ  
 إِنْ شَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ يَجْرَزْنَا  
 نَايَ وَاللَّيِّ مُسْلِمٌ جُمْلَةُ  
 وَمِنْ تَمَّ زِدْنَا قَبْلَنَا  
 مَكَّةَ جِينَاهَا وَوُصَلْنَا  
 وَقَعَدْنَا فِي بَارِدِ ظَلِّهِ  
 مَكَّةَ بِالذَّاتِ وَصَلْنَاهَا  
 دِرْنَا بِالْكَعْبَةِ طُفْنَاهَا  
 حَجْرَةَ لَسَعَدُ حَيِّنَاهَا  
 رِيحَتَهَا تَغَشَى مَاغْلَاهَا

لَا تَكْبِيرُ وَنَاسِ  
 يَسْتَقِي فِي لَنْفَاسِ  
 وَمَا يَنْزَحْشِ خُلَاصِ  
 وَحَمَسَتْ بَلْخَمَاسِ  
 بِنِ الصَّيْدِ الدَّعَاسِ  
 رَبَّابِ الْمِرَّاسِ  
 وَقَبَضَتْ الْمِرَّاسِ  
 سُكَّرَ وَسَطِ الْكَاسِ  
 وَدَيَّانُ وَشَمَّاسِ  
 مَشِيَّةَ مَاهُوَ خَاصِ  
 لِلشَّامِ وَلَقَدَّاسِ  
 مِنْ أَسْيَادِي الرِّيَّاسِ  
 الْمَدِينَةَ بِالْمَدَّاسِ  
 هَزَّشَامِ الْكُفَّاسِ  
 بُنْيَانِ الْأَقْصَارِ  
 وَأَنْوَارَهُ لَسْرَارِ  
 كَيْلِ بَغْيِ غَبَّارِ  
 مِنْ بَابِ السَّتَّارِ  
 يُومُ اللَّيِّ نَعْبَارِ  
 وَالنَّاسِ الْحُضَّارِ  
 عَلَى ظَهْرِ الْعَوَّارِ  
 بِيَّتِ اللَّهِ طُفْنَاهَ  
 وَالذَّنْبِ مِحْيَاهَ  
 وَدَخَلْنَا لِلْيَيْتِ  
 وَالْعُمْرَانَ دَعِيَّتِ  
 وَمَسِينَاهَا بِلَيْدِ  
 عَنْهَا النَّوْرُ يَزِيدِ

بَيْتَ مَشْهَرَهَا مَا ابْنَاهَا  
رَبِّ خَلْقَهَا وَنَشَاهَا  
إِنْ شَا اللَّهُ بِالرَّجُلِ نَسَعَاهَا  
مَا بَيْنَ الْقَمَا وَمَرَوَاهَا  
لَيْلَةً تَسْنَعَةَ حَوْشِنَاهَا  
نِسْوَانَ وَرَجَالَ مَعَاهَا  
جِينَا مِنْ مُوْنَى وَفُتْنَاهَا  
اصْبَحْنَا فِيهَا وَدُرْنَاهَا  
زَيْدَهُ شَرِينَا مِنْ مَاهَا  
فِيهَا الرُّكْعَةَ صَالِيَانَا  
وَمِنْ تَمِيكٍ وَلِينَاهَا  
دَارَ الشَّيْطَانِ رَجْمَانَاهَا  
فِي مُوْنَى الشَّيْطَانِ دُجْنَاهَا  
تَمِيَّتْ الْحِجَّةُ بِكُمَاهَا

نَزَلُهَا الْوَحِيدُ  
بَاشَ لَسْلَامَ تَفِيدُ  
نَايَ وَأَمَاعِيدُ  
زَجْنَتَا ظِلِّ عَجِيدُ  
أَحْرَارَ مَعِ عَبِيدُ  
تَلَبِّي بِالْتَّمَجِيدُ  
رَجَّابَ لِمَعَامِيدُ  
سَاعَةَ يُومِ سَعِيدُ  
طَيْبَ كَيْفِ خَلِيدُ  
وُخْطَبَ الحَطِيدُ  
مِنْ عُذْوِيكَ الْعِيدُ  
سَبْعَ اسْمَا عَدِيدُ  
وَالسَّكِينُ حَدِيدُ  
وَالْحَالِقُ شَهِيدُ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 81 وما بعدها.

## النص الثاني للشاعر علي بن لعويبة الشامي

رَمَلِ الْكِدَّةَ شَيْنٌ أَوْهَامِ  
 اللَّي بِبِهَا عَيْبِي حَالَمِ  
 رَمَلِ الْكِدَّةَ شَيْنٌ غُرُودِ  
 مَا نَعْرِفُ لَهُ مِنْ قُصُودِ  
 حَشْدٌ غِيَمَةٌ فُوقَ سُدُودِ  
 رَمَلِ الْكِدَّةَ بَغْبَايِرِهِ  
 يَأْمَابِشَعٌ مَشِي مَسَادِيرِهِ  
 يُزُورُهُ كَأَنَّ خَفِيفَ السَّرِّهِ  
 يُزُورُهُ كَأَنَّ خَفِيفَ وَقَاوِي  
 وَهَمَزَتَهُ يَرْحَلُ مِتْقَاوِي  
 بَابُورٌ تُفْطَعُوكَهُ رَسَاوِي  
 جَا مَقْلَعٌ مِثْلُ الْبَابُورِ  
 عَلَيْهِ نَكْبِسُ فِي حَزَامِي سَيُورِ  
 لَقَّتَهُ لِكَبِيرِ الشُّورِ  
 نَكْبِسُ رَا حِلَّتَهُ وَسُرُوجَهُ  
 عَلَيْهِ نَعَزَمُ مَنْ بَيْرِ اللُّودِ  
 مَنْ تَمَّ تَوَاتِيَهُ فُجُوجَهُ  
 عَمْرَهُ جَاتَكَ شُورٌ وَنِيَّةُ  
 مَمْرُورُهُ غَرِبِي تُرْكِيَّةُ  
 فِي شُورِكَ زَمَلَةٌ مَبْنِيَّةُ  
 كِي تُخَلِّفُ سَيَّارَ الشَّارِفِ  
 لَأِنِّي عَاصِي لَأِنِّي مُخَالِفِ  
 وَيَنْ الرَّمْلِ يَدِيرُ سَوَالِفِ  
 تَمَّ نَعَرَّبُ نَعَطِي مِيحَهُ

دُونَ رِيَدِي كَا حِلُّ لَنْظَارِ  
 دَمَعُهُ تَسْكِبُ مَ لَشْفَارِ  
 بَرُّ خَالِي وَجَائِبُ سُودِ  
 بَرُّ خَالِي لَأ فِيهِ عَمَارِ  
 وَعَجَّاجُهُ دَايِرُ عُبَارِ  
 مِتْكَتَفُ عَ الرَّابِعِ شِيرِهِ  
 التَّرَّاسُ خَطَاوِيَهُ قُصَارِ  
 مِتْيَصَلُ قَبْلَهُ هُتَّارِ  
 حُرُّ وَمِتْيَصَلُ قَبْلَاوِي  
 لَرَضُ يُقْضَى ضَهَا فِي نَهَارِ  
 وَادَاتُهُ مُوجَّةُ لَبْحَارِ  
 يَطْلَفُحُ فِي طَرِيقِ بُجُورِ  
 طَقِيَّتَهُ بِجِلْفَاتِ صَفَارِ  
 وَهَمَزَتَهُ بِقَدَامِي طَارِ  
 رَا حِلَّتِي فُوقَهُ مَخْرُوجَهُ  
 مُحَدَّرُ عَن دَخْلِهِ نُوَارِ  
 عَمْرَهُ جَاتَكَ فِي لَشْوَارِ  
 وَمَنْ تَمَّ تَوَاتِيَكَ تَنِيَّةُ  
 تُحَدَّرُ عَن وَدِيَانِ كُبَارِ  
 هَاذِيكَ زَدَايِدُ سَيَّارِ  
 خَابِرُ سُورَهُ لَأِنِّي تَالِفِ  
 لَأ تَمِيحُ بِيَمِينَهُ وَيَسَارِ  
 يَثْ صَفُّ وَزُمُولَهُ تَقْصَارِ  
 خَابِرُ سُورِي لَأ طَلْفِيحَهُ

شُورُ يَمْعُطُ لَا تَطْوِيحَهُ  
بِيزِ الْعَبْسِيِّ وَسَيْفِ طَلِيحِهِ  
كِي تَخْلَفُ أَمِيَهُ عَوِينِ  
بِنِ دَوْمَهُ مُحَاذِيكَ إِمِينِ  
أَزْقَى عَنِ بُو أَمِيَهُ الْإِينِ  
كِي تَخْلَفُ عِلْبِ الظَّلِيلِكِ  
بِيزِ لَشَهَبِ طَبِّ مَرَايِلِهِ  
يَقْطَعَهَا فِي نَهَارِ وُلَيْلِكِ  
كِي تَخْلَفُ زَمْلِكِ حَمْرُونِ  
مِنِ نَمِّ مَرَايِرِ وَأَثْرُونِ  
سَيْفِ الْعَرَّةِ بَيْنِ عَيْوِينِ  
كِي تَخْلَفُ زَمْلِكِ مَسْعُودِ  
وَأَبَاقَامِ يُجِيكَ قُصُودِ  
تَمِيكَ صَاحِبِ بَحْجُودِ  
كِي تَخْلَفُ غَيْطَانَ النَّخْلِكِ  
فِيهِ بَنِيَّةُ نَعْتِ الرَّحْلِكِ  
نُورُزَهَا وَإِنْ شَا اللَّهُ تَخْلَى

دَهْمُ عِ الْجَبَّانَةِ وَزَارِ  
اللِّي فِيهِمْ تَهَجَعِ مِشْوَارِ  
مِنِ نَمِّ حَايِرِ شُورِ يَمِينِ  
الْعَرَّائِي مُحَاذِيكَ بِسَارِ  
تُقَابِلِ الظَّلِيلِكِ جَهَّارِ  
تَبَانِ زَمْلِكِ فِي الشُّورِ طَوِيلِكِ  
بِيزِ عَمُونِ مَرِيرِ الحَطَّارِ  
مُحَطَّارِ دَارِهِ فِي مِشْوَارِ  
يَعْرِفَهَا الْفَاهِمِ وَاللُّدُونِ  
وَادِ الحِصْبَةِ دَارِ أَسْطَارِ  
رُحْتِ نَقْرُضِ فِي لَوْعَارِ  
تَتَكَرَّكِبُ عَنِ رَاسِ الهُودِ  
تُحَدِّرُ عِ النَّخْلِكِ لَمَجَارِ  
خَفِي سِرَّةِ لَا يَوْقُظُ جَارِ  
جَرُّ الحُبْنَةِ دَايِرِ دَخْلِكِ  
بِكْرَةَ لَا تَبْعَهَا حَوَارِ  
الدَّلَّةِ مَا تُطَوِّلُ بَعْمَارِ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 102 إلى 105.

### النص الثالث للشاعر بشير حداد

وَعِنْدِكَ كِلَامُ الْقَوْلِ رُدِّي عَيِّي  
تَفَكَّرْتُ رَاقِ الرَّجْمِ بِنْتِ هَدْيِيَّةِ  
شَيْخِ الْغَيْطَانِ مُحَوَّمَهُ شَرْقِيَّةِ  
شُفْتِي شِ هَا لِيَّامَ خَرَّتْ بِي<sup>1</sup>  
عَلَى بِنِ حَمْدِ بَرْحِيلِنَا هَوْدُنَا<sup>2</sup>  
وَنَلَّقَى الصَّحْرَا بِالْعُشْبِ مَبْثُوثَةً<sup>3</sup>  
وَزِدْنَا كِلِينَا دَهَانَ بِالْمَرْفُوسَةِ  
وَجَبَدْتُ تَمْرِي بِالْحَلِيبِ نَعْدِي  
وَفِي قَالْنَا هَدَفْتُ مِثْلَ الْعَادَةِ  
وَدَرْنَا رَفِيسَ لِاعْمُرَهَا مُشْتَاقَةً  
فِيهَا الْعُشْبُ تَفَلَى الْعَنَمِ وَالنَّاقَةِ<sup>4</sup>

جَائِيكَ مِتَعَمِّي  
عَقْلِي سَرَحَ وَالْقَلْبَ عَادَ يُعَيِّي  
فُكَيْكِي مَاحِي بَزِمْلَتَهُ مَقَابِلِي  
وَبُيُوتِي فِي مَرْقَبِ ذِيَابِ الْعَالِي  
مِنْ بَابَةِ حَنَا وَرَدْنَا  
الْمَقْتَلَةَ طَوْجِينِ عَنْهَا صَعَدْنَا  
حَلَبْنَا لِمَعِينِ فِي شَكْوَتِهِ بَرَدْنَا  
الْقَلْبَ مُشَوْشَ مُصَدِّي  
وَاللُّعُوفَا لِي كِي مَرَقَ لَهُ وُلْدِي  
اسْتَحْمَدْتُ فِي خَيْرِ الْإِلَهِ عِنْدِي  
تُمْنِيَتْ كَانُ دُوَّارِ فِي رِقْرَاقَهُ

<sup>1</sup> مرقب ذياب: موضع.

<sup>2</sup> بابة وابن حمد: موضعان.

<sup>3</sup> المقتلة وطوجين: موضعان.

<sup>4</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 4، ص 46، 47.

## النص الرابع للشاعر علي بالذيب الحميدي

ضَحَضَاخَ لَا فِيهِ جُرَّةٌ وَلَا فِي      شَهْرَ مَشِي      وَجَا دُونَ مَنْ تَلَبَسَ الْجِرْدَ هَيَا فِي  
 ضَحَضَاخَ وَيَا مَا وَسَعَهُ شَيْنَ رِدَّةٍ      حَفِي شَيْنَ كَدَّةٍ      وَمُبْنِي عَلَى شَافَةِ الرَّمْلِ جَبَّةٌ  
 يُزَوِّزُهَا وَلَدٌ مِنْ فُوقٍ مَدُوبٌ دَبَّةٌ      عَنِ يَدِهِ تَرَبَّى      وَفِي الْعُمُرِ لَا نُوبَةَ الْحُرِّ عَيَّ  
 يَعْنِي قِذَا اللَّاطِنِي بِهِ ذَبَّ شَبَّةٌ      شَرَقَ زَادَ حَبَّةٌ      سَكَنَ ذَاهُ بَيْنَ الْهَائِدِ تَرَبَّى  
 يَبَانُ الشَّعْرَ عَنِ تَرَاقِيهِ جَبِي      مَصَالِيْبُ صَبَّةٌ      وَمَبْهُورٌ بِالسِّنْبِلِي وَالْمَعْبَى  
 يُومِي عَلَى صَدْرٍ مَهْلُوعٍ لَبَّةٌ      بَقِصٌ تَحْتَ طَبَّةٌ      بِقِصْ طَسٌ بَعْدَ التَّبَيِّنِ تَعْبَى  
 عَنَّكَ دُؤَا لِمَعَالِيلِ طَبَّةٌ      قَتَلْتِ وَعَا فِي      وَهَاتِي الشَّفَا بِيَهْ زُدِّي هَيَا فِي  
 ضَحَضَاخَ لَا فِيهِ جُرَّةٌ وَلَا فِي      شَهْرَ مَشِي صَا فِي      جَا دُونَ مَنْ تَلَبَسَ الْجِرْدَ هَيَا فِي  
 ضَحَضَاخَ لَا فِيهِ جُرَّةٌ نَدِيدَةٌ      بِلَادَهُ بَعِيدَةٌ      وَجَا دُونَ رَدَافِ زُورِ الْحَدِيدَةِ  
 يُزَوِّزُهَا وَلَدٌ مِنْ خِيَارِ الْوَكِيدَةِ      عَطَاتَهُ الْعَقِيدَةُ      قِصُّ الْوُطَا قِصٌّ عَنْ غَيْرِ سِيْبَةِ  
 هَسَّتْ عَلَيْهِ فِكْرٌ مَنْ هُوَ حَبِيْبَةٌ      يُسَالَهُ طَلِيْبَةٌ      لَهُ وَقْتُ طَالَتْ عَلَيْهِ الْمَغِيْبَةُ  
 ضَحَّيْتُ نَا وَالْمَاجِعَ شَدِيدَةً      جُرُوحِي نَفِيدَةً      بِجُرُوحٍ لَا جُرُحَ صَادَفَ طَبِيْبَةَ  
 وَالْقَدَّ عَرَسَ الْمِصْلَبَ جَرِيدَةً      زَهَا فِي النَّشَائِي      فِي النَّزْرِ لَا لِأَحْفَهْ رِيْمَ سَا فِي  
 ضَحَضَاخَ لَا فِيهِ جُرَّةٌ وَلَا فِي      شَهْرَ مَشِي      جَا دُونَ مَنْ تَلَبَسَ الْجِرْدَ هَيَا فِي  
 ضَحَضَاخَ لَا فِيهِ نَاسٌ اللَّيْ ثَلَا فِي      عَلَى كُلِّ عَا لِي      يَحْلِيَهُ يَا مَوْسَعَهُ فَجَّ حَا لِي  
 جَا دُونَ دَا دَائِي سَمَحَ الْبِدَا لِي      هَنَا زَهُو بَا لِي      تُطَوِّحُ بَعْدَ مَنَزَلِهِ مِنْ حَحَا لِي  
 نُؤَدِّكَ عَلَى ظَهْرٍ مَدُوبٍ سَا رِي      مِصَّلَ عَشَا رِي      وَوَلَدٌ صَيْدِخَ مِنْ خِيَارِ الْمَهَا رِي  
 قَطَّافٌ نُؤَا زَ عُشْبِ الْبِدَا رِي      عَمَ الرَّيْمِ فَا لِي      فِي الْعُمُرِ لَا شَافَ حَرَّ الْقِيَا لِي  
 يَعْنِي قِذَا مِنْ عَرَامَةٍ لِحَا لِي      بِسِرِّهِ شِكَا لِي      نِخْفِيَهُ لَا تُذَكِّرُهُ لِمَنْ يُوَا لِي  
 وَيَا بُرْكَةَ اللَّيْ نَدَهُ كُلِّ وَا لِي      مَعَ اللَّهِ صَا فِي      يَقْرَّبُ حَبِيْبَ خَا طِرِي فِي صَدَا فِي  
 ضَحَضَاخَ لَا فِيهِ جُرَّةٌ وَلَا فِي      شَهْرَ مَشِي صَا فِي      جَا دُونَ مَنْ تَلَبَسَ الْجِرْدَ هَيَا فِي  
 ضَحَضَاخَ لَا فِيهِ جُرَّةٌ خَلَا عَةً      وَلَا حُكْمَ طَا عَةً      وَجَا دُونَ رَدَافِ حَمْرِي أَصْبَا عَةً  
 يُزَوِّزُهُ وَلَدٌ مَدَّعِي بِالْمُطَا عَةً      مَبِيْنٌ ذِرَا عَةً      وَجُوهَ الْعَدُوِّ طَالِبِيْنَ الشَّفَا عَةً  
 عَلَى زُولٍ مِنْ مَخْضَبِ أَصْبَا عَةً      بِطِي لَهْ سَا عَةً      وَهِيَ نَاسَهَا يَحْزُرُو بِالنَّزَا عَةً

نُودُّكَ عَلَى ظَهْرٍ جَامِلٍ أَقْطَاعَهُ      الرَّصَنَ فِي فَنَاعِهِ      وَبُورَ حِرْزُورِ رِصَايْنِ قُلاَعِهِ  
وَبِاللَّهِ يَا تَبْرَ صَائِي صِيَاغَةَ      ذَلِيلَةً نِتَخَّافِي      مِنْ شَبْحَةِ الْبَعْدِ عَنِّي بُجَافِي<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 1، ص 53، 54، 55.

## النص الخامس للشاعر محمد الصالح بن علي

رَاحَتْ مَشَتْ زَوَاهُهَا غَابَ      صَاقِلِ النَّابِ      مَا خَلَّتْ مَسْأَلَهُ مَا خَلَّتْ جَوَابِ  
 رَاحَتْ مَشَتْ ثَابِتٌ أَكِيدُ      مَا عَادَتْ طَمِيعَهُ تُشَوِّفُهَا لَعِيَانُ  
 رَاحَتْ إِطْوَحَتْ عَادِي بَعِيدُ      نَسُومٌ رِيحَهَا تُقُولُ شَيْ مَأْكَانُ  
 مَسَافَاتٌ دُونَهَا وَاعِرَةٌ وَتَكِيدُ      عَ اللَّيِّ رَاكِبٌ وَاللِّي قَصْدُ مَشْيَانُ  
 وَيَنَّهُ غَابَ إِتْمَسَى قَمَرُ الْعِيدُ      مَا عَادَ يَضُوي مَائِرِيدُ فِي الضِّيَانُ  
 يَأْمَصْعَبُكَ يَا فُرْقَةَ الْوَدِيدُ      صَهْدُ نَيْرَانُ زَايِدُهُ حُمَّانُ  
 وَلَوْ كَانَ جِيتَ فِي قَوِي شَدِيدُ      وَعُنْدِي فُودَةٌ لِلْعَرِكِ أَوْ لِقَتَانُ  
 إِنْرُدْ عَزِي بِالنَّازِ وَالْحَدِيدُ      وَإِنْفَرَّعَ دُونَهُ الرَّجَالُ وَالْفُرْسَانُ  
 إِفُودَهَا وَلَدَ عَاتِي صِيدُ      إِكْبَرُ دُخَانَهَا مِنْ بَعِيدِ إِبَانُ  
 مَدْرَبٌ مَاهِرٌ فِي ضَرْبِ الصَّدِيدُ      مَا يَعْرِفُ ذِلَّةَ مَا يَلْحَقُهُ جَرِيَانُ وَآكِدَ عَازِمُ  
 قَاصِدٌ وَعَنْ حَاجَتَهُ مَا إِحِيدُ      إِبْحَكَمْتَهُ شَبَعَانُ  
 مَا بِيَهُ حُبٌ فِي الْمَوْتِ وَالتَّمْرِمِيدُ      وَمَا بِيَهُ حُبٌ فِي الْحَقْدِ وَلِقَتَانُ  
 اعْطُوهُ عِزَّةً وَالْقَلْبَ مَا إِرِيدُ      تَلْقُوهُ عَاشِقٌ لِلْأَمْنِ وَالْأَمَانُ  
 رَاجِلٌ فَحَلٌ وَلِلرَّجَالِ سِيدُ      وَالْعَقْلُ إِرْجَحُ كَقَمَّةِ الْمِيرَانُ  
 وَلَوْ جَتَ حُكُومَةٌ وَشَرِغَهَا مُفِيدُ      مَا تُودِّعُ الْغِزَالَةَ لِلذَّيْبِ بُونِيَانُ  
 وَمَا تُبَدِّلُ التَّبِيرَ بِصَفَائِحِ الْحَدِيدُ      وَمَا تُبَدِّلُ حِزَامِي بِدَفْلَةِ الْوَدِيَانُ  
 وَمَا تُبَدِّلُ الزُّلَالَ بِالرَّآكِدِ الرَّغِيدُ      وَمَا تُبَدِّلُ النُّورَ بِأَسْوَدِ الدُّخَانُ  
 وَمَا تَعْطِي الْحُرَّةَ مِنْ أَصْلٍ جِيدُ      لِلدُّوْنِي مِنْ أَصْلٍ بُوطَحَّانُ  
 وَمَا إِتْلُبُّسَ الْمَلِكِ لِبَسَةِ الْعَيْدُ      مَا تُوقِّي الْمَلِكُ بِجَرْدِ بُوقَبَّاقِ  
 وَمَا إِتْحَطُّ الْغِزَالَ فِي عَرِينِ الصَّيْدُ      هَكَاهُ حَطُّوا وَرَدَةَ الشَّبَابِ  
 رَوَايَعُ السَّخَابِ      وَمَا يَنْحَطُّ الْوَرْدُ مَشْمُومٌ لِللِّدَابِ  
 رَاحَتْ مَشَتْ زَوَاهُهَا مَا ظَهَرَ      خِيَارُ الْجِيَلِ رَاسِ الْقَبِيلَةِ  
 تَمَّاشٌ مِنْ إِجِيبِ عَنْهَا خَبَرُ      خَلِّي نَفْرَعُ إِعْزِي نَمَّ شَيْلَةَ  
 لَوْ كَانَ إِقُولُوا فِي آخِرِ الْبَرِ      مَا نَتْرُكُ دُونَ وَصُولِهِ حَيْلَةَ  
 وَلَوْ كَانَ دُونَهَا رَحْلَةٌ وَسَفَرُ      وَلَوْ كَانَ دُونَهَا فَيَا فِي طَوِيلَةَ

وَلَوْكَانَ دُونَهَا هُولٌ وَخَطَرٌ  
 وَلَوْكَانَ دُونَهَا قَاسِي الصَّخَرِ  
 وَلَوْكَانَ دُونَهَا حَامِي الحُرِ  
 وَلَوْكَانَ دُونَهَا ضَرْبُ المُرِ  
 وَلَوْكَانَ دُونَهَا وَحُوشُ البُرِ  
 نَرَكَبُ عَلَى مَدُوبٍ أَصِيلِ حُرِ  
 عَامِينَ عَلَى ضَرْعِ حَلِيْبِهِ إِذُرِ  
 وَعَامِينَ يُقْطِفُ فِي نُوَّارِ الجُرِ  
 وَعَامِينَ مَا رَدَّهَ وَلِدَ البَشْرِ  
 مَطْلُوفٌ مَا جَابُوا عَنْهُ خَيْرِ  
 مَسْئُوتٌ وَعَالِي طَوِيلِ الظَهْرِ  
 لَمَاعٌ لُونُهُ حَيِّي الشَّعْرِ  
 خَفِيفٌ رُوقُهُ فَزَاعٌ فِي الكَرِ  
 رَكْبَةٌ وَلِدٌ فَارِسٌ ذَكْرٌ  
 عَلَى ظَهْرِهِ شَقْلَابٌ  
 رَكْبَةٌ وَلِدٌ فَارِسٌ إِتْعَدَى حَلْفٌ مَا دَامَ  
 فِي العَمْرِ مَمْدَّةٌ  
 هَاتٌ مِنْ إِقْدٍ عَلَيْهِ إِزْدَّةٌ  
 لَا خُوتَانَهُ وَصُحْبَتَهُ وَنَدَّةٌ  
 قَالِ اللَّهُمَّ يَا نَاسِي كَلَامِكُمْ إِنْعِدَّةٌ  
 لَكِيَّيْ إِتْهُونَ شَيْءٌ مَا إِنْفِدَّةٌ  
 وَمَا إِنْحَلِّي عِزٌّ غَالَةٌ أَوْ وَدَّةٌ  
 مَا نَزَجَ وَبَابُ الرُّجُوعِ إِنْسِدَّةٌ  
 مَا يَهْدَالِي نُومٌ مَا تَهْنَالِي مَحْدَّةٌ  
 حَتَّى نَشُوفُ قِصَّةَ حِكَايَةِ مَدَّةٌ  
 صَعَارٌ خَاطِرُهُ وَالدَّمْعُ صَدَّةٌ  
 إِنْتَلَقْتُ لِلنَّجْعِ مَرْتَعٌ بَابَاهُ وَجَدَّةٌ

وَلَوْكَانَ دُونَهَا العَذَابُ أَوْ وَيْلَةٌ  
 وَلَوْكَانَ دُونَهَا الرَّمْلُ وَهَيْلَةٌ  
 وَلَوْكَانَ دُونَهَا الوَادِي أَوْ سَيْلَةٌ  
 وَلَوْكَانَ دُونَهَا حَرْبٌ وَفِتْيَةٌ  
 وَلَوْكَانَ دُونَهَا قَطَاعُ السَّيْلَةِ  
 سَمَحٌ لَهْدَادٌ جَيِّدٌ فَصِيلَةٌ  
 عَامِينَ مَا جَتَّ دُونَهُ شَمِيكَةٌ  
 وَعَامِينَ عَلَى العَشْبِ وَالثَّمِينَةِ  
 وَمَا جَتَّ فِي رَجْلِيهِ حَبِيكَةٌ  
 يَلْعَبُ يَرْتَعُ مَعَ وَلَدِ الهَمِيكَةِ  
 عَرِيضُ اللَّبَّةِ رَقِيْفُ العَزِيكَةِ  
 وَالسَّيْبُ عَلَى رُقْبَتِهِ هَدِيكَةٌ  
 يَدْحَسُ اللَّيِّ يَتَعَرَّضُ سَيْبِلَةٌ  
 مَتَمَّرَسٌ عَلَى السَّرِجِ وَالرَّكَابِ  
 هَاتٌ وَاشْ إِزْدَّةٌ عَلَى صَاقِلِ النَّابِ  
 عَاطِي بِالْقَرِيفَا سَاعَةَ المَغِيْبِ  
 لِأَنِّي رَاجِعٌ عَنْ زُولِ الحَيِّبِ  
 ثَابِتٌ وَآكِدٌ فِي كَلِمَتِهِ صَعِيْبِ  
 وَلَا شَيْخَ العَرْشِ فِي كَلِمَتِهِ إِصِيْبِ  
 وَرَايِكُمْ سَدِيدٌ مَا فِيهِ العَيْبِ  
 كَيْفَاشْ إِتْخَلِّي غَنَائِمِي لِلذَّيْبِ  
 يَتَهَيَّئُ غَيْرِي بِيهِ وَمَعَاشَهُ إِطِيْبِ  
 نُهُونٌ عَلَيْهِ العَالِي وَمَا فِي الحَيِّبِ  
 وَمَا يَزْتَاخُ الحَاطِرُ وَحَالِي إِتْخِيْبِ  
 إِتْخَاطِرُهُ وَلَا غَضَبُوا عَلَيْهِ تَغْصِيْبِ  
 مَقْتَوَاهُ إِتْمَقَارِفُ رَاحَ بَاشْ إِغِيْبِ  
 وَطَلَبُ السَّمَاخِ وَقَالَ يَا حَسِيْبِ

هَمْزٌ لَشَقْرٍ وَعَطِي بِالصَّدِّهِ  
مَسَافَةٌ خَمْسَ أَيَّامٍ حَسَابُهَا بِالْعَدَّةِ  
دَخَلَ الْكَرْبُ وَالرَّمْلُ وَكَدَّهُ  
مَجَابَاتٌ طَوِيلَةٌ وَاسِعَةٌ فِي الْمَدَّةِ  
عَرِفٌ وَاعِرٌ زَادَ إِتْعَلَى سَدَّهُ  
مُوحِشٌ وَزَادَ ظِلَامَهُ شِدَّهُ  
جَنْدُ الْقِطَا وَالْبُومُ كَثِيرُ الْعَدَّةِ  
طَرِيفٌ صَاقِلُ النَّبَاتِ  
رَحْلَةٌ عَذَابٌ وَطَرِيفُهَا بِطَوَالِ  
خَمْسِ أَيَّامٍ فِي الْحَالِءِ جَوَّالِ  
جَاءَتْ أَمَارَةٌ عَلَنَ اللَّيِّ شَبَحَهَا فَالِ  
حَسَنُ النَّجْعِ وَمَنْ فِيهِ نَزَّالِ  
مَنْ بَعِيدٌ إِرْوَدَ مَشِي خَتَّالِ  
فَرِحَهُمْ رِزْمٌ غَنَاوَاتٌ وَخَفَّالِ  
خَلَطَ عَلَيْهِمْ سَرِيعٌ هَرْقَالِ  
ظَنُّوهُ رَعَّائِي فَتَّاشُ جَمَّالِ  
نَاضَتْ فَطُومَةٌ تَجْرِي فِي الْحَالِ  
فَاتَلَّهَا إِبْعِينِي شُفْتُ عَالِ  
طَلَعَتْهُ مَثِيلٌ طَلَعَةٌ هَالِ  
هَآوَيْنَهُ بَيْنَهُمْ ظَاهِرٌ يَنْجَالِ  
فَدَّاشٌ وَفِي الْوَفَاءِ مَا زَالِ  
إِنْكَلِمَتْ وَنَاسَةٌ وَدَمَعَهَا سَالِ  
رَاجِلٌ فَحَلٌ وَسَيْدُ الرَّجَالِ  
مَا نُهَوْنَهُ مَا إِنْبَدَلَهُ بِالْمَالِ  
هَذَا وَاشْ حَكْمٌ بَابَائِي قَالِ  
يَا فَطُومَةُ غُصْنِي شَاحِ إِذْبَالِ  
يَا فَطُومَةُ إِذَا سَوَّلُوكَ سَوَّالِ

لَطُّ الشُّبُورِ وَشَدُّ فِي السَّبِيبِ  
إِدِيرْهَا فِي نَهَارٍ مَشِي بِالْتَرْتِيبِ  
دُخَانُهُ دَكَّمٌ طَالَعٌ شَلَاهِيْبِ  
جَتْ دُونَ بَجْعٍ مِنْ سَمَاءِ حَيْبِ  
لَا سُرَّاحٌ نَزَّالَهُ طَالِبُهُ تَعَشِيبِ  
دَكَّمٌ سَرَابُهُ وَالشَّمْسُ فِي التَّعْرِيبِ  
وَذَيْبٌ وَضَبَعٌ وَغَزَالٌ وَغَرَابِ  
بَعِيدٌ مُوحِشٌ رَحْلَتُهُ عَذَابِ  
رَحْلَةٌ تَرَّاسٌ إِنْسِي وَدَعَّ نَعَاسَهُ  
هَآئِنٌ رُوحَهُ بَايَعُ رَاسَهُ  
الَّيْلُ زَاحِفٌ ضَارِبٌ لُبَاسَهُ  
صُوتُهُ يَتَعَالَى كَثُرَتْ أَذْهَاسَهُ  
مَوَاطِي الرِّاسِ كَاتِمٌ أَنْفَاسَهُ  
دُونَهُمْ فُرْسَانٌ شَدُّوا عَسَاسَهُ  
مَا عَرَفُوهُ مَا جَابُوا نَسْبَةَ نَاسَهُ  
رَحِبُوا بِالضَّيْفِ وَسَعُوا لِبِلَاصَهُ  
مَفْجُوعَةٌ تَنْهَجُ قَاصِدَةٌ وَنَاسَهُ  
هُوَ إِنْذَاتُهُ حَافِلٌ بِلُبَاسَهُ  
فِي نَهَارٍ صَافِي غَابَتْ أَشْمَاسَهُ  
زَيْنٌ وَهَمَّةٌ فِي وَسْطِ الْجَلَّاسَهُ  
فَدَّاشٌ عَآئِي وَمَوْلَى فَرَّاسَهُ  
قَالَتْ الْمُفِيدُ جَابَتْ قِيَاسَهُ  
لَكِي مَكْتُوبِي مَا هُوَ فِي سَاسَهُ  
لَكِنْ سَيْدِي فَصَلْ قَطْعَ فَاسَهُ  
عَطِي كَلِمَةٌ عَقَمْتُ مَجَلَّاسَهُ  
وَكَانَ يَوْمَ زَايِدُ شِيَاخِ إِيَّاسَهُ  
جَحُودُكَ إِمْنَعُ زَيْنَ الشَّبَابِ

مَا يَلْحَقُهُ عَذَابٌ  
 الْفَرْحُ يُضْرَبُ بِالْغَنَاءِ وَأَطْبَاعَهُ  
 لَيْلٌ هَادِي قَمْرَتُهُ سَطَاعَهُ  
 لَأَهُوَ بَارِدٌ لَا حَرَّتَهُ وَلَا أَعَهُ  
 وَقَفُوا الْعَنَائِيَا يَطْرُبُوا السَّمَاعَةَ  
 وَقَفَ عَلَّالٌ قَالَ أَعْطُونِي سَاعَةَ  
 بَدِي قَصِيدَهُ بِالصَّلَاةِ وَالطَّاعَةَ  
 قَالَ: نَعْرِفُ طَيْرِي وَنَعْرِفُ طِبَاعَهُ  
 يَا لِنَدْرَا يَا طَيْرِ زَيْنِ لِحِلَاغِهِ  
 مَعَهَا ذِكْرٌ نَقَشْتَهُ كِي الطَّبَّاعَةَ  
 يَا لِنَدْرَا رَغْمُوكَ وَخَوَاطِرُكَ وَجَاعَهُ  
 وَقَفَ شَاعِرٌ إِوْازِنَهُ فِي زِدَاعِهِ  
 قَالَ لَهُ طَيْرُكَ إِتْرَبُطْ مِ كِرَاعِهِ  
 رَغْمُوهُ وَلِزْمُوا عَلَيْهِ الطَّاعَةَ  
 لَأَهِي شَهْوَتُهُ لَأَهِي قُوَّةُ ذِرَاعِهِ  
 لَوْ تَشُوفُ طَيْرُكَ وَحَالَتَهُ وَأَوْضَاعَهُ  
 غَيْرَ أَرْحَلَ قَبْلَ الدَّمِ وَبِرَاعَهُ  
 بَهَزُ فِدَا لَشَقْرُ خَطْفُ صِرَاعَهُ  
 لَأَهِي كَاذِبَةٌ غَادِرَةٌ بِيَّاعَهُ  
 بَاعُوهُمَا كَيْمَا رَحِيصُ بَضَاعَهُ  
 لَوْلَا طَاعَةُ رَبِّي وَنَبِي الشِّفَاعَةَ  
 سَلَّمَ عَلَّالٌ وَسَلَّمَاتَهُ الطَّاعَةَ  
 هَادِي قِصَّةً وَنَاسَهُ وَعَالَالٌ يَا سَمَاعَةَ  
 كَتَبَهَا مُحَمَّدُ الصَّالِحُ خَطَّهَا بِاصْبَاعِهِ  
 عَثَابُ اللَّيْلِ فِي آخِرِ سَاعِهِ  
 شَاؤُ الْحَرِيفِ يَا حَسَّابُ

مَا نَرَضُوا الدُّونِيَّةَ فِي عِزِّ حَبَابِ  
 تَقْصِيرَةٌ طَوِيلَةٌ مَا فِيهَا شِئْنُ النُّومِ  
 سَمَاهُ صَافِيَةٌ مُتَجَلِّيهُ لِعُيُومِ  
 لَا رِيحَ عَاقِي لَا غُبَارَ إِهْوَمِ  
 مُوقِفٌ وَرَدَّاسِي صُوتُهُ إِزُومِ  
 الشَّعْرُ إِنْقِدَهُ نَبْدَعُ فِي الْمَنْظُومِ  
 وَرَكَّبَ كَلَامَهُ نَسِجَتَهُ مَرَشُومِ  
 لَكِنْ مَا فَهِمْتُ وَاشْ صَارَ الْيَوْمِ  
 يَا اللَّيْ كُنْتُ حَوَالِي تَحُومِ  
 وَاللَّي بَيْنَاتِنَا إِتَكَّتَبَ مَرَسُومِ  
 وَلَا بَرِضَاكَ إِقْبَلْتِ وَلَدَ الْقُومِ  
 فَهَمْ قِصَّتَهُ مَعَ الْغَالِيَةِ فِي السُّومِ  
 وَكَسَرُوا جَنْحِيهِ مَا عَادَ إِحُومِ  
 صَادُوهُ بِأَمْرِ شَيْخِنَا مَحْكُومِ  
 لَا تُلُومَهُ لَا تَزِيدُ اللَّوْمِ  
 فِي جَاشَهُ عِلَّةَ سِرِّهَا مَكْتُومِ  
 وَقَبْلَ مَا يَطْلَعُ نَهَارُ مُوشُومِ  
 خَلَّى الْمَحْفَلُ وَفَرَحَهُمْ إِدُومِ  
 حَكَمُوا عَلَيْهَا وَحَكَمَهُمْ ظَلُومِ  
 وَقَفُوا مَمْنَهَا وَتَفَاوَضُوا فِي السُّومِ  
 إِسِيلُ دُونَهَا غَدِيرُ دُمُومِ  
 وَالْحُوفُ مِنْ حَسَابِ هَاكَ الْيَوْمِ  
 إِخْلِيَهَا تَارِيخُ نَقِشَهَا مَرَشُومِ  
 يَرْحَمُ خَلِيفَهُ وَالْأَدَةَ مَعْلُومِ  
 نَهَارُ عَشْرَةَ زَيْدِ سِتَّةِ فِي الْحِسَابِ  
 سَنَةُ أَلْفَيْنِ وَتِسْعَةِ إِتْسَطَّرَتْ كَتَّابِ

رَاحَتْ مَشَتْ زَوَّالَهَا غَابَ صَافِلِ النَّابِ مَاخَلَّتْ مَسَالَةَ مَاخَلَّتْ جَوَاب<sup>1</sup>

### النّص السادس للشاعر أحمد بن سعود دويم

---

<sup>1</sup> هذه القصيدة للأستاذ محمد الصالح بن علي بن خليفة من مواليد سنة 1965 ببلدية النخلة من عرش المصاعبة، سجلت عنه القصيدة يوم 4 نوفمبر 2014، على الساعة السابعة مساءً.

أَعْطِيَهُ الْمَطَرُ وَالنَّصْرَ مِنْ مُولَانَا  
 وَبَجْعِ الْعَرَبِ هَسَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاقُهُ  
 عَقِيفَةً وَلَمَّصَ وَحَارَةً وَرِيَانَهُ  
 حُنُوثَ يَغْشِي شَرَّعُو بِيَانَهُ  
 أَعْطِيَهُ الْمَطَرُ فِي أَمَّاكِرِهِ يَتَهَيَّ  
 لَرُضِ الْمَلِيحَةِ تَعَجَّبُ الْوَمَالَهُ  
 كَرَبٌ وَ حَصِيبٌ يَبَانُ عَادَ خَدَانَهُ  
 وَرَسَى عَلَى الدُّوَارِ وَالْمَطْرُوحَةَ  
 وَأَوْرَادُهُمْ جَحْتٌ خَارِجَةٌ مَلِيَانَهُ  
 وَاللِّي رَحَلٌ فَجَجَّ عَلَى جِيرَانَهُ  
 وَحُرَّتْ مِ الْعَشْوَةَ بِنَنْ بِيُونَهُ  
 وَهَدُو الْبِيَاضُ وَطَلَّهُو خِرْفَانَهُ  
 وَاللِّي رَحَلٌ فَجَجَّ عَلَى جِيرَانَهُ  
 وَبَجْعِ الْعَرَبِ دُكْرُوهُ عَ الْمِرْسِ  
 وَيَنْ الشُّبُوبُ خَلَّفَ أَمْطَارَ أَمْزَانَهُ  
 قِدَا بِيَارِ بَتِ عُمُرَ وَالْحَشَانَهُ  
 مَطَّانِبَهُ فِي الْعَيْنِ قَبْلَهُ حِرْزُوهُ  
 وَالْبَرْقُ يَشْلَهَقُ شَعْلَ ضَوِيَانَهُ  
 عَلَى بَرِّ ثُونِسٍ مَرْتَعِ الْحَنَانَهُ  
 وَرَاهِي الْعُرُوبَهُ رَاخَلَهُ وَمُقِيمَهُ  
 يُقُولُو أَمَّالِي الْعِرْفِ وَالْقَمَّانَهُ  
 وَكُلَّ حَدِّ يَدِّي مَارْفَعِ مِيرَانَهُ  
 يُورِدُ عَلَى الدَّخْدَاخِ غَرْبِي الْقَارَةَ  
 وَهَبَّتْ أَنْصَارَهُ وَالْفَلَكُ وَأَنَا  
 رَاهُو الْعَشِبِ يُصِصُ فِي حِيضَانَهُ

بَجْعِ الْعَرَبِ مَطَّانِبَهُ حِيْفَانَهُ  
 بَجْعِ الْعَرَبِ وَاجْحَافَهُ  
 لُقَاهُ الْعَشِبِ مِتْخَالَفَاتٍ أَوْصَافَهُ  
 هَسَّتْ عَيْوُنُ الْحَيِّ رَدُّ أَرْيَافَهُ  
 بَجْعِ الْعَرَبِ شَاغِلْنَا  
 شَيْئِي وَرَبَّعَ عَنِّ أَدْخَالَ الْحِنَّةَ  
 سَعِيدِينَ وَشَوَيْشَةَ حَمْدَ وَالْقُنَّةَ  
 بَجْعِ الْعَرَبِ فِي زُوحَهُ  
 أَسْعَائِيهِمْ بَيْنَ هَامَلَةٍ وَمَسْرُوحَةٍ  
 وَاللِّي خَطَرَ جَحْتٌ خَطَرَتَهُ مَرُوحَهُ  
 خِيٌّ وَرُهُمْ مَبْسُوطَةً  
 وَمُرُوحَهُ رِغِيَانُهُمْ مَنَعُوتَهُ  
 وَاللِّي فَقْدٌ يَفْقِدُ دَرَارِي خُوتَهُ  
 بَجْعِ الْعَرَبِ مِتْرِيضَ  
 وَيَنْ الْعَشِبِ نُوَارَتَهُ مِتْخَلْبِصَ  
 سَوَادَ السَّبَبُ ظَلَمَ اخْضَارَ وَدَنْكَسَ  
 بُجُوعَ الرِّسْوَةَ  
 وَالرَّغْدَ يَطْرَشَقُ تَعَلَّى نَزْوَهُ  
 جَمَلَتْ أَشْعَابُ الْوَاطِيَةِ وَالْعُلُوءَةَ  
 بَجْعِ الْعَرَبِ فِي الْحِيَمَةِ  
 وَرَاهِي السَّمَاخَةَ مَا تَمَّشَ دِيمَهُ  
 وَكُلَّ شَيْئٍ بِالْقَيْنُونِ عِنْدَهُ قِيمَهُ  
 بَجْعِ الْعَرَبِ فَاخِيَارَهُ  
 وَصَبَّتْ أَمْطَارَهُ كِي زَهَى نُوَارَهُ  
 وَغَيْرَ أَرْتَعِي بِاللَّهِ يَا خَوَارَهُ

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، د ط، سنة 2008، ج 2، ص 94 إلى 99.

بَجْعِ الْعَرَبِ فِي الصُّمَعَةِ  
وَجِي مِزْنِ رَاقِي مَعَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ  
خَلْفَ نِحَامِ السَّعْيِ بَعْدِ الْهَمْعَةِ  
بُجُوعٌ تَشْوِشٌ وَجَحَافٌ تَظْهَرُ مِنْ بَعِيدٍ تَطْوِشٌ  
وَالنَّجْعُ لَا حَايِرَ وَلَا مَشْوِشٌ  
الْجِرْدُ وَالْعَمَّارِي  
وَتَمَّ بَجْعُ مِ الْفِرْجَانِ سَعِيَهُ فَالِي  
وَكَمْ يُومُ بِالزِّيَارِ يَظْهَرُ سَارِي  
بَجْعٌ فِي شِيَابِي  
تَلَقَوْا مَالِي الْبَرِّ وَالْبَرَّانِي  
عَلِبِ الطُّوَيْلِ وَمَرْقَبِ الْعُلْوَانِي  
وَرَوَادُهُمْ جَابَ الْخَبْرُ بِالشَّافِي  
أَنْشُدُوا الْرَوَادَةَ  
وَالغَيْمِ جَيِّ عَنِ كَرَبِ جَرَادَةَ  
وَهَذَاكَ مَرْتَعِ سَعِينَا فَ أَهْوَادَةَ  
كَلَامِي نَتَمَّهِ  
وَمَوْلَى السَّمَاخَةِ تُشْكِرُهُ بِنِي عَمَّةِ  
أَحْمَدُ بْنُ سَعُودٍ جَابَ الْكِلَامِ وَتَمَّةِ  
جَبَّتْ كَلَامِي  
مَنِينَ الْمُحَمَّسِ طَالِقِيئَهُ حَامِي

حَنِي بَجْعَنَا عَنْهُ صُوتُ الشَّمْعَةِ  
وَسَيْلَهُ نَزَلَ قَدِينٌ فِي قَيْسَانَهُ  
وَرَبِّ يُجِيبُ الْفَارَعَةَ مَلِيَانَهُ  
مَرَاحِيلُ عَنْ عَلِبِ الْمِنَادِي تُحْوِشُ  
وَأَوْلَادٌ لَا تُطِيقُ الدَّرَكُ لَا هَانَا  
وَاللَّهُ يَحْمِي رَجَالَنَا وَنَسَانَا  
سِيَاخَاتٍ وَيَنْ هَبَّهَبُ نُسُومِ الْوَارِي  
مُقَابِلِ الْجِبَلِ يَبَانُ عَادُ حُدَانَا  
فِي صَحْنِ بْنِ قَشَّةِ نَصَبِ دِيوَانَهُ  
فِي رَاخِي وَالْعَقْلُ مَا هَنَانِي  
وَهَسُّو عَلَيَّ نَاسٌ كَانُوا مَعَانَا  
وَمَرْتَعِ شُوَيْلٍ يَتَلَاَعْبُو حَيْرَانَهُ  
عَلَى أَمِيهِ يُونِسُ نَقْضُ خِرْفَانَهُ  
اللِّي يَغْرُفُو نَبَتِ الْعَشْبِ فَ أَهْوَادَةَ  
طُوبِجِينَ كِي هَزُّ السَّرَابِ يَبَانَهُ  
أَحْمَدُ بْنُ سَعُودٍ جَابَ الْكِلَامِ وَقَانِي  
خِيَارِ لِنَبَادِمِ فِي الْحَرَمِ وَالْهَمَّةِ  
وَمَوْلَى الْحَيَابَةِ تُتْرَكُهُ يَخْطَانَا  
وَيَا حَافِظَهُ هَيَّ عَلَيَّ لَمَانَهُ  
عَلَى نَاسٍ بَجْعِ الْوَادِ عَاتِي دَامِي  
يَضْرِبُ يُطَقِّعُ فِي السَّمَا دُخَانَهُ<sup>1</sup>

### النص السابع الشاعر الساسي حمادي

خَلَائِي لِحِرَاحِ كَبِيدِي مُوَجِيَه	قَشَعُ بَجْعِكَ رَاحَ هَزَ الفَجْرِيَه
والخُرُصُ عَن خَدِهَا مَالٌ	رَحَلُ نَجْعِ بُوعَثٍ يَنْهَالُ
وَحَوَاجِبُ تَمَثِيلِ هَلَالُ	وَعِيُونُهَا سُودٌ تَكْحَالُ
وَالخَشْمُ لَا رِيْتَلَهُ مَثَالُ	وَحُدُودُهَا وَرْدٌ لَطْلَالُ
دَنْكَسُ حَقْلٍ غَلْتَهُ فَالُ	قَدِّكَ كَمَا غَرَسَ مِيَالُ
رَتَّاعٌ فِي الرَّمْلِ يَنْجَالُ	رُقْبَهُ عَنَاقٍ شَارِدٍ عَزَالُ
يَوْمَ عَائِطَهُ وَحَرْبٍ وَقْتَالُ	وَالجُوفُ مَرْكُوبٌ زَعَالُ
وَحَزَامٌ عَن جُوفِهَا مَالُ	وَلِبَاسٌ وَاتَى لِفَصَالُ
طَبَّحَ بَانَ عَن كَعْبَتِكَ مَالُ	مَشِيكَ خَطَى فَن وَذَلَالُ
أَهْلَكَ فَرَاسِيْنَ وَرِجَالُ	إِبْعِدْ بَرِّهَا نَزْهَةَ البَالُ
وَسَرِيرٌ بِالغَيْمِ زَنْكَالُ	دُونُكَ مَجَابَهُ وَذَخَالُ
وَدِيَانٌ وَخَنْقٌ وَجِبَالُ	بَسَاطُ شَيْنٍ لَا فِيَه رَحَالُ
التَّيْنِ وَالصَّيْدِ صَهَالُ	وَدِيَابٌ وَضَبَاعٌ وَأَهْوَالُ
مُحَالٌ حَارِمٌ وَبَطَالُ	لَا يَقْطَعُ حِصَانٌ وَلِوَالُ
	وَسَوَالِفُ طُوالُ
	لَسَبَطُ رَقِيقٍ لِعَصَابَهُ
	رَمَشْتَهَا فَالُ
	نُونِيْنَ أَجْمَلِ كِتَابَهُ
	لَاهُوشٌ مِذْبَالُ
	وَبَسْمَاتٌ وَاتَتْ أَنْيَابَهُ
	يَسْتَقَامُ يَطُوالُ
	فِي عُشْتِ أَوَّلِ طِيَابَهُ
	فِي بَرِّ لَأَزَالُ
	فِي أَرْضِ العَفَا وَالرَّطَابَهُ
	فِي جُرَّةِ آبَالُ
	مُؤَلَاهُ جَابِدُ حُرَابَهُ
	حَلِيَهُ وَخَلَالُ
	مِنَّهٌ حَبِيْبِكَ عِدَابَهُ
	بَلْعُهُ وَخَلْخَالُ
	بَابَاكَ بِالْفَيْنِ جَابَهُ
	فِي نَجْعٍ وَعِيَالُ
	مُحَالٌ لَأَهْمُ غَلَابَهُ
	وَزُمُومٌ وَرَمَالُ
	يَزْرَاقُ غَالِقُ سَرَابَهُ
	لَا نَجْعُ نَزَالُ
	يَخْلِيَهُ مُوحِشٌ شَعَابَهُ
	وَسُمُومٌ تَنْجَالُ
	مَكْشَحٌ مَعْرِي أَنْيَابَهُ
	بَرْكَابٌ وَنَعَالُ
	يَجْتَازُ رِدَّةً تَرَابَهُ

من الصغر ربّاه ومّال	بُوقَرَحٍ بِكَمَالٍ	يُرُوزَهُ جَمَلٌ حَيْرٌ لَبَالٍ
في اللّونِ يَصْفَارُ يَجْجَالُ	في أرض العفّا ولعشابه	ربّاه في عَفَى وذلالٍ
لا إهاب من حرب وقتال	صنديد ختال	رُكْبَهُ وَلَدٌ صَيْدٌ رَجَالُ
سريع سدو لأهوش هرقال	ولد صيل ناسه صلابه	تَسْقُدُ عَزْمٌ فَاتٌ فِي الْحَالِ
والسيف من عند صقال	من جعب يطوال	ناقل سلاح حرب قتال
خبير بز في الشور ما عال	ساقيه سمم ذبابه	قصد شور من صبحه قال
زاز السرير خش في جبال	بوهذب قتال	فَاتٌ مَجَابَاتٌ وَذَخَالُ
إتقى طلسن ظلم الحال	غشم قص ضربت نشابه	وصل نجعها نزهة البال
زاد ساعد الوقت وسهال	وزموم وزمال	بيناتهم قبل مجال
ما كان يُخْطَرُ على بال	قريت نواح ترابه	والنجع شيباب وأطفال
صياح الغنم دار غلعال	بوخرص ميال	للصبح لين بين الحال
شور بيتهم فازع رجال	والليل عييم سحابه	صاحت أمها بصوتشعال
واكثر من القيل والقال	وحديث وسؤال	سمعوا الخبر بكل تفصال
حضر لعمام وحوال	خطفها وشد المجابه	إغتاظ سيدها قال محال
	ونسأ وزجال	
	فُرسان تُوَصِّلُ أَطْنَابَهُ	
	بدي زريم لبال	
	حَضَرَ وَقْتَ تَبَدُّلِ خَلَابِهِ	
	والوجه يذبال	
	لِعِيَاظٍ وَاشْنِ أَسْبَابَهُ	
	بدي حسن وجدال	
	الميعاد ضبيع صوابه	
	نرصى لذلال	

من أَجْنَابَهَا الدم شَتْوَالٌ	كل حَدٌ وَجَدَ حُرَابَهُ الشُّقْرَاطُ وَكَأَلُ	فزعُوا على خِيَارِ لَبَالٍ
قريب مسُو تَحْلِيْطٌ لُظْلَالٌ	دخَلُوا بعيدَ المَجَابَةِ بِدي الظُّلِّ يَطْوَالُ	من الصبح لِينُ غَزْبِ الحَالِ
ولاخر سعي وصف الغزَالِ	بِدي الرِّيحِ عَيِّمَ ضَبَابَهُ في يَاسٍ وهَمَّالُ	عَدِي غَزْبُهُمْ رَاحَ هَمَّالُ
رَبَّاهُ عن كل مَجَالِ	العَرَادُ ظَافِي ثِيَابَهُ وأَبُوهُ رَجَالُ	وصل بجمعُهُم سِيدُ لَبَطَالِ
مَهْمَا الزمان طَبَّصَ أُوْعَالِ	كل شَيْ قَارِي حُسَابَهُ لَا إِدِيرُ مُحَالِ	بنت الكرمِ أَهْلَهَا رُجَالِ
في قِدَمِ سِنِينِ فَاتَهَا الحَالِ	مُحَالٌ تَرْضَى الحِيَابَهُ كَيْفَ كَانَتْ أَجْيَالِ	الساسي كتب قصته قالُ
أهل الكرم هِيلَ و هَالِ	كل شَيْ عَامِلِ حُسَابَهُ إِجْمَهُورٌ لَبَطَالِ	تحيات من القلب تَنْقَالِ
تحيات نَسَا و رُجَالِ	الصَّيْفُ هذا خُبَابَهُ وَأَشْعَارُ وَأَمْثَالِ	صلاة النبي تَحْتَمُ أَقْوَالِ
	تَحِيَةٌ حبيبِ حُبَابَهُ <sup>1</sup>	

### النص الثامن للشاعر الهادي بسّي

<sup>1</sup> محمد الصالح بن علي ومحمد نافع حمادي، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، ص 104.

بِنِي نَخْلَمَ زَايِرُ فِي مَنْامِي  
 زَايِرُ لَمِينُ يَاللِّي تَسْمَعُ قَوْلَ آمِينُ  
 نَعْمَ زَمَ فِي الْحِمْيُنِ  
 قَرَبَانَهُ وَعُغْوِينُ  
 عَن ظَهْرٍ مَتِينُ  
 يَعْجِبُ فِي السَّرِينُ  
 لِيَهُ خَمْسُ سُنِينُ  
 يَنْفَلِي عَمَّا السَّرِيمُ  
 فِي الْجَمْرِ بِنِي بِنِينُ  
 لَاهَ زُرُ زُرِينُ  
 حَاشُ مَرَامِينُ  
 سَوَى بِحَصِينُ  
 شُورُ الْمَدِينَةِ  
 لِمَقَامِهِ جِينَةَ  
 وَالْوَالِدِينُ  
 بِنِي نَخْلَمَ زَايِرُ فِي مَنْامِي  
 زَايِرُ يَابَا بَابَا  
 نُوصِلُ لِنَتْرَابِهِ  
 رَبِّي نَابِي  
 الدَّعْوَةُ مُوجَابَةُ  
 سَهْلُ بَابُهُ  
 قُوفُ الْهَيْدَابُ يَعْجَلُ  
 خُطْوُهُ مَصَوَابُهُ  
 لِي بَابُ نَابِي  
 مِنَ النَّوْ شَرَابُهُ

صَلُّوْ عَن قَبْرِ التَّوَهَامِي  
 نَعْمَ زَمَ فِي الْحِمْيُنِ  
 مَسْقَمٌ لَا عِنْدِي تَحْمِيمُ  
 زَادِي مَاهُوشِي بِاللَّيْنِ  
 سَمَّحُ الرُّقْبَةُ وَاللَّذْرَعِينُ  
 وَبُرَّةُ عَ لَكْتَفَافُ حَضِينُ  
 هَامِلُ مَا تَشُوفَاشُ الْعِينُ  
 مَايْرَدَاشِي بُوْكَرَاعِينُ  
 يَخْفِثُ طَيْرُ بِلَا جَنْجِينُ  
 تَحْلِفُ كَانُ تَقُولُ سَفِينُ  
 شَغْلُولُهُ خُرْكَ مَا شِينُ  
 لَا يَعْبُرُ يَسَارُهُ وَلَا يَمِينُ  
 قَدَا الطَّاهِرُ جَدُّهُ الْحَوْسِينُ  
 مُحَمَّدُ زَيْنُ الْحَتَامُ  
 إِنَّ شَااللَّهُ لِلْحَيَّةِ قَدَامِي  
 صَلُّوْ عَن قَبْرِ التَّوَهَامِي  
 عَزِمُ لِلطَّاهِرِ وَأَصْحَابُهُ  
 وَنَتْرَوِي مَن حُوضُ شَرَابُهُ  
 إِنَّ شَااللَّهُ يَفْتَحُ لَيْنَا الْبَابُ  
 هَذَا بُرْكَةُ عِلْمِهِ وَكِتَابُهُ  
 نَزُورُ مَكَّةَ وَالْمَحْرَابُ  
 فِي الْمَشِيَّةِ زَرَابُ  
 مَحْجَلُ نَعْتِ الرِّيمِ لِبَابِهِ  
 مَتْرَادَعُ فِي شَاوُ شَبَابُهُ  
 وَيْنَهُ الْمَرْزُ تَطِيحُ أَشْخَابُهُ

<sup>1</sup> من أرشيف الأستاذ بن علي محمد الصالح (مخطوطات).

وَثُمَّ لَنْ شَاب  
 لَا ظَهْرَهُ شَاب  
 عَرَفَهُ وَاجْتَابَهُ  
 وَأَمَّا الرَّقَابَةُ  
 سَأَفَهُ وَالْعَابَةُ  
 طَوَّلَ بَعْثَابَهُ  
 كَمَا أَنَّ رَبِّي جَابَهُ  
 وَالْحِلْفُ عَقَّبَ شَاب  
 بِنِ نَحْلَمِ زَائِرِي فِي مَنْعَامِي  
 مَنْ سَقَّدَ مَا شِئِي  
 حَمَلْتُ الْبَاسِي  
 لِسَيْدِ النَّعَاسِ  
 وَحَشِيئَةُ فِي جَاشِي  
 زَاوِي بِبَيْتِكَ خَلَاصِي  
 مَتَمَّتْ سِدَاسِي  
 لَا يُرْوَمُ الْعَاشِي  
 يُقْطَعُ فِي أَنْوَاصِي  
 دَكُّ دُوكِ فَلَاسِي  
 فِي لَصِصِ خَمَاسِي  
 لِلْبَيْتِ نَعَاشِي  
 سَيْدِ الرِّيَاسِي  
 زَاوِي قَلْبِي شِيشِ  
 نَقُولُ مَا بَعْدَ شِيشِي  
 بِنِ نَحْلَمِ زَائِرِي فِي مَنْعَامِي  
 زَائِرِي مَا شِئِي لَيْسَ  
 زَائِرِي وَتَاوِيلُهُ  
 عَن ظَهْرِ عَتِيلُهُ

يَقْطَعُ مِنْ دَوَائِبِ لِرَوَابِ  
 لَا هَزْ مَخَاطِرَ وَخِيَابِ  
 يَمَاطِلُ لِأَشْيِي بِرَجِّ سَحَابِ  
 دَكَّارَ مَهْمِيشِ فِي غَابَهُ  
 حُقْمَهُ مُدَوَّرَ نَعْتِ لُوَيْبَهُ  
 لَيْسَ يَاسِرُ كِي فَاتِ حَسَابَهُ  
 نَقُولُ نَعَزِمُ لِأَيِّ فِي نَدَامِي  
 إِلَيْهَا سَاقِطٌ لِلْحَيِّهِ زَامِي  
 صَلَوُ عَن قَبْرِ التَّوَهَامِي  
 زَائِرِ سَيْدِي مَا دُونَ أَشْيِي  
 دَهَبُ مِنْ بَالِي الْهَلْوَاسِ  
 بِيهِ لَعْنَةُ الْكُومَبِ نَاصِ  
 جَوَّزَ عَنِّي مَا طُقْنَا شِي  
 وَأَنْتَ زُرْقُ لِمَا عِنْدَ أَشْيِي  
 عَيْنِ الْحَاسِدِ مَا تَشُوقَ أَشْيِي  
 لَا يَفْلِكِي فِي بِلَادِ أَهْمَاسِي  
 يَرْتَعُ فِي عَشْبِ الرِّفَارِي  
 وَاصْفَرُّ لُونَهُ نَعْتِ نَحَاسِي  
 ثَابِتُ شُورِهِ مَا يَخْطَأُ شِي  
 يَا جَبَّارَ الْعِظْمِ الرَّاشِي  
 تَرْوِينِي مِنْ حَوْضِكَ كَاسِي  
 فِدَا شُورَهُ مَا نَيْشِ نَكَامِي  
 مُحَمَّدُ صَبَاحِ ظَلَامِي  
 صَلَوُ عَن قَبْرِ التَّوَهَامِي  
 لَا عَازِمَ لَا عِنْدِي حَيْلُهُ  
 نَحْمَلُ لَا تَمِّشُ تَعْطِيلُهُ  
 مَهْرِي ضِنُّهُ وَلِدْ كَحَيْلُهُ

لا هـ نَزُّ ثَقِيْلٌ  
 فِي الرَّمَلِ هَمِيْلٌ  
 يَشْرَبُ فِي غَزِيْرٍ  
 فَلَا تَنْهَهُ نَوَاوِيْرُ  
 مَاهُوْشٍ حَسِيْدِيْرٍ  
 يَعْجِبُ فِي السُّوْفَةِ  
 فِي لَرَضٍ خَبِيْرٍ  
 مُوْشِي تَبِيْصِيْرٍ  
 عَدَّالٍ المِيْمِيْلُ  
 زَانِي فَقِيْرٍ  
 فِي نَحْلِمٍ زَايِرٍ فِي مَنَامِي  
 مَتَمَّيْ زَايِرُ  
 مَكْمُوْحٌ وَحَايِرُ  
 لَا لَفِيْمَتٌ دَبَايِرُ  
 نَزُوْرٌ كَلَّ يَحَايِرُ  
 عَمَّا الرُّفْفُ السَّيَايِرُ  
 مَتَمَّيْ ضَايِرُ  
 لَا هـ نَزُّ عَرَايِرُ  
 يَشْرَبُ فِي غَزَايِرُ  
 شَرَّادٌ وَطَايِرُ  
 لَا بَجِيْمَةٌ نَزَايِرُ  
 مَقْمُوْرٌ وَقَايِرُ  
 جَنَابٌ صَوَايِرُ  
 عَمَّا البَّرْقُ الشَّيَايِرُ  
 يُقْطَعُ فِي خَزَايِرُ  
 فِي نَحْلِمٍ زَايِرُ فِي مَنَامِي

لا حَمَلٌ لِيَرْجَحُ وَبِيْمِيْلُ  
 بِيْنَ الحَاذِهِ وَالجَرْجِيْلُ  
 وَيْنَ المِزْنَ يَطِيْحُ غَزِيْرُ  
 لَا مَن رَدَّهُ قَالُ نُحْيِيْرُ  
 لَا جَابُوْ حُيْرُهُ دَوَاوِيْرُ  
 كَيْفُ تَشُوْفَةُ مَثَلِ الطَّيْرِ  
 زَايِرُ نَبِيْنَا البَشِيْرُ  
 عَقْلِي قَايِلُ هَكَأ نَدِيْرُ  
 يَامُوْلِي الجُوْدُ وَلَكْرَامِي  
 قَعْدِي سَعْدِي وَأَيَّامِي  
 صَلَوُ عَن قَبْرِ التَّوْهَامِي  
 قَاصِدُ سِيْدِي لِحَدِّهِ نَايِرُ  
 مَن وَحَشَهُ صَهْدِيْ جَايِرُ  
 لَا صَبْتُ لَفِي جَنَاحِي طَايِرُ  
 مَانِيْشُ نُحْمَمٌ وَحَايِرُ  
 وَاصِلُ مَن شَبَّأَكُهُ دَايِرُ  
 وَبَرَّهُ عَ لَكْتَفِ ضِلَايِلُ  
 لَا حَوَّشٌ فِي شَا وَبَعَايِرُ  
 مَطْوُوحٌ فِي بِلَادِ سَدَايِرُ  
 لَا مَن يَقْطَعُ لِيَهُ جَزَايِرُ  
 لَا يَخْتَلُ لَا يُسُوْفَةُ غَايِرُ  
 مَن صَغَرَهُ فِي الهَمِّ لَا تَايِرُ  
 وَالرُّفْبُهُ عَرَّادُ قَمَايِرُ  
 يَفْلَكِي عَمَّا وَلَدِ النَّعَامِي  
 لَسْلَسٌ وَعَضِيْدُهُ وَقُضَامِي  
 صَلَوُ عَن قَبْرِ التَّوْهَامِي<sup>1</sup>

النص التاسع للشاعر علي عناد  
ضَحَضَاخٌ وَرُقْرَاقٌ مَا فِيهِ فُصَالَةٌ  
خَلَّانِي مُشْتَاقٌ بَايْتُ فِي حَالَةٍ

ضَحَضَاخٌ وَاسِعٌ مِشْيَانٌ	يَزْرَاقُ يَدْكَا نٌ	غَيْمَةٌ حَفَزُ دَارِ دُخَانٌ
يَصْعَبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ	لَا فِيهِ سُكَّانٌ	لَا بِلَ لَا سَعِي حِرْفَانٌ
كَانَ وَحْشٌ وَنَعَامٌ حِيرَانٌ	صَحْرَاهُ تُعْبَانٌ	وَالهُوشُ مِنْ كُلِّ أَلْوَانٌ
لَا يَقْطَعُهُ مَشِي مَشْيَانٌ	وَلَا جَرِي لِحِصَانٌ	مَا يَقْطَعُهُ كَانَ ظَمِيَانٌ
مُرْبَعٌ مَعْفَى وَمُطْمَآنٌ	فِي بِلَادٍ لَمَّانٌ	عَامِيْنٌ لَا طَلَّ لَا بَانَ
مَرْتَاخٌ مَبْسُوطٌ رَوِيَانٌ	يَسْمَاخٌ يَزِيَانٌ	وَقْتُ اللَّيِّ طَلَّغَ النَّبِيَانُ
رُكْبَةٌ وَلَدٌ قَرَّانٌ	مِنْ سِيْدٍ سُجْعَانٌ	لَا إِخَافٌ لَا إِهَابٌ عِدْيَانُ
كَيْفَ يَهْمَزُهُ إِهْزُ هَزَّانٌ	مَاهُوشٌ كَنَّانٌ	يَطُويِ الْوَطَا طَيِّ كَتَّانُ
خَشَّ الْقِيَا فِي وَلَا بَانَ	أَخَفَ مِنَ الْجَانِ	إِقْرَبُ بَرَّهَا سُودٌ لَعِيَانُ
جَايِبٌ كَلَامِي إِبْلُوزَانٌ	مِيْزُونٌ مِيْزَانٌ	ابْنُ عَنَاذٍ مَعْرُوفٌ مِ زَمَانُ
أَبُو أَبِي مَفْتُوحُهُ	لِلشَّعْرِ مَفْتُوحٌ بَابُهُ	وَقْتُ اللَّيِّ نَحْتَاجُ يَالْقَالِي أَرْوَحُهُ
وَلِيَّ خَمْسِ سَنِيْنٍ هَارِبٌ مِنْ سُوحَةٍ	قَلْتُ رَايَ الشَّبَابِ خَلِّي يَدِّي دَالَهُ	خَلَانِّي مُشْتَاقٌ بَايْتُ فِي حَالَهُ <sup>1</sup>

### النص العاشر للشاعر معمر بن سعدة التغزوتي

حَيَّرَ نُومِي بِالسَّهْرِ لَالِي فَثَرَةٌ      شَيِّنٌ حَالِي وَالْبَدَنُ دَائِمٌ فَايِنُهُ

<sup>1</sup> محمد الصالح بن علي، من روائع الشعبي علي عناد، ص 184، 185.

يُثْقَبُنِي مَشْعَالٌ وَدُمُوعِي مَطْرَةٌ  
هَبْلَنِي تَفْكَازَ عَن قَلْبِي يَطْرَا  
وَطُنُو جَانِي بَعِيدَ لَا عِنْدِي فُدرَةٌ  
لِلْفَاسِ الْمَعْلُومِ سَهَّلَ لِي الْخَطْرَةَ  
دُونُو حَالِ سَرَابٍ وَحَمَائِدَ قَفْرَا  
تَرْضَى لِي صَبَّارَ ضَارِي بِالْخَطْرَةَ  
عَرَبِي رَاهُ خِيَارَ مِنْ جِهَةِ مَصْرَا  
وَاحِي مِ الصَّيَّادَ لَا يَقْبَلُ نَظْرَةَ  
بِالْعِدَّةِ مَتَمُومٍ وَزَكَابُو قَمْرَةَ  
الْكُرْسِي تَحْصِينِ آيَاتِ الْبَقْرَةَ  
مَكْحَلْتِي وَالسَّيْفِ وَوَسَادِاسِي بَتْرَا  
نُودَاعِ حَبَابِ فِي ذِيكَ الْبُكْرَةَ  
عَن بَاقُورَةَ سُورِ نُوسَاعِ الصَّحْرَا  
عَن سَيْفِ السُّلْطَانَ وَامِيَةِ الْحَجْرَا  
الْبُرْجِ الثَّلَاثِ وَالْمَقَاسِمِ لِلظَّهْرَةَ  
تَمَاسِينِ نُزُورَ عَن وَسَطِ الدَّشْرَةَ  
مَقَامُو يَزِيَانِ يَرْهَبُ مِ النَّظْرَةَ  
بَابِ اللَّهِ مَفْتُوحِ فِي ذِيكَ الْحَضْرَةَ  
عَن بَابِهِ نَزَّاحِ نُطْلَبُ يَأْقُفْرَا  
غِيْثُونِي لِّلَّهِ يَا أَهْلَ النَّعْرَةَ  
التَّجَّانِي طَيْبِ لِينَا بِلَا فُخْرَةَ  
يَا طَيْبِ الْمَلْهُوفِ جَبَّازِ الْكُسْرَةَ  
فِي بَحْرِ الْمَوْجَاتِ مِيَاهُو كَثْرَةَ  
حَرَازِمِ بِالشَّيْخِ مَمْنُحِنِي بِنَظْرَةَ  
الْفُوتِي بُوَسَيْفِ مَاحِي لِّلْكَفْرَةَ

وَيُعْرُضُ نِي حُمَانِ فِي الْكَبْدَةِ صَالِيَهُ  
بِالْمِخْنَةِ مَحْزُونِ حَتَّانِ نَلَاقِيَهُ  
ظَهْرَةَ تَازَةَ سُورِنَا سِرِّي تَحْكِيَهُ  
بِيهَا يَنْفَرِحُ خَطْرِي مَحْبُوبِي فِيهِ  
وَقُنَاطِرِ تَحْرَاشِ لِأَخِ الْغَيْمِ عَلَيْهِ  
أَزْرَقِ دَارِ بَدَارِ مِنْ صِيْلِهِ نَرْضِيَهُ  
عَنْكُوشِ وَعَرَّادِ مِنْ هَمَّازِ لِهِيَهُ  
يَصْعَبُ عِ الْحَتَّالِ فِي الشُّوفَةِ يَفْسِيَهُ  
مِنْ عِيُونِ الْحَسَّادِ مُولَانَا حَامِيَهُ  
اسْمِ اللَّهِ مُحِيطِ دَائِرِ بِأَمَالِيَهُ  
وَالْفَرْطَاسِ يَزِينُ حَزَامِي مَالِيَهُ  
وَأُذْخِرُ فِي الْمَلْجُومِ نَصِيْبَهُ تَنْزِيَهُ  
سَيُوفِ الرَّثْمِ ثَبَانِ مِنْ وَرَّادِ الْهِيَهُ  
وَالْفَرْجَانِي قَنَاعِ لِلْعَطَشَانِ يَجِيَهُ  
وَالْعَكْرَشِ يُوَسَّاعِ عَ لَزْرَقِ نَطْوِيَهُ  
الْحَاجِ عَلِي الْمُوَهَّابِ وَالصُّرَّ يَدَاوِيَهُ  
وَمِنْ شَافِ الْأَسَدِ يَرْجَعُ عَن تَالِيَهُ  
بِضْمَانَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
سَعْدِ اللَّيْ أَتَاهُ بِالْحَيْرِ يَجَازِيَهُ  
شَمْسِ الْمَعْرَبِ سَيْدَهَا مِنْ قَافِ لِهِيَهُ  
مِنْ كَيْسَانَ السَّرِّ لِحَبِيْبِهِ يَسْتَقِيَهُ  
صَرْخَةَ لِلْمَوْضَامِ وَاللِّي نَادَى بِيهِ  
يَسْمَعُ مِنْ نَادَاهُ مِ لَبْعَادِ يَجِيَهُ  
ابْنِ الْمَشْرِي مَحْبُوبِ فِي قَلْبِي يَنْغِيَهُ  
لَا يَرْضَى بِالْعَارِ لِّلِّي هُوَ لِيَهُ

<sup>1</sup> أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 2، ص 67 إلى 73.

ابن العَلَمِي طَرُشُونُ بِيَّانُ الصَّحْرَا  
سِي دَحَّه نَعَّازُ لَعَدَانَا قَهْرَا  
نَادَيْتُ الْأَشْرَافَ وَأَوْلَادَ الزُّهْرَةِ  
غِيثُونِي بِرِحَالِكُمْ لِينَا نُصْرَا  
جِيْرُونِي بِالْعِزِّ لَا نَقْبَلُ حُقْرَهُ  
تُدْرِكُنِي لِلطَّافِ تَحْمِينِي الْقُدْرَةَ  
بِحَمَّةِ سَعْدِي لَأَخِ وَضِيَاءِ الْقَمْرَا  
تَتَبَدَّلُ لِفَالِكِ عَوَارِضُ قَطْرَهُ  
إِذَا آتَى اللَّيْلَ لِأَزِمٍ مِنْ فَجْرَهُ  
لَا تَيْسُ يَا خَاطِرِي أَمْرَ الْقُدْرَةَ  
يَجْعَلُ مَدْحِي نَجَاهًا فِي يَوْمِ الْقَسْرَا  
يَأْتُو لِي وَفُودٌ فِي وَقْتِ السَّفْرَةِ  
فِيهِمْ لَمَجْدٍ نَرَاهُ عَلَى خُدُودِهِ حَمْرَا  
التَّجَّانِي ظَهَرَ بِأَسْرَارِهِ فَمَرَا  
صَاحِبِ وَقْتِ أَحْمَدِ خَلِيفَةَ عَصْرِهِ  
نَحْتِمُ نَظْمِي نَصِيبُ يَا نَاسِ الْفُقْرَا  
نَرْحَلُ عَصْرَ الْحَمِيسِ فِي اللَّيْلَةِ الْعَرَا  
أَحْمِينِي يَا كَرِيمَ مُقِيلِ الْعَثْرَةِ  
مَعَمَّرٌ مِنْ تَغْرُوتِ رُجَالِ الْمُخْرَةِ  
بِالتَّجَّانِي بَلِيَتْ مَا عُدْتِشْ نَبْرَا  
ثَلَاثَةٌ وَالْفِ قُرُونٌ تَارِيخُ الْهَجْرَةِ

وِيخُ اللَّي عَادَاهُ بِالْمُخَلَّبِ يَرْزِيهِ  
بِنُ عَبْدِ الصَّادِقِ جَارِنَا نَادَيْتُ عَلَيْهِ  
وَعَلَيْهِ حَيْدَارُ سَيْدِهِمْ نَحْتَا جُو لِيهِ  
مِنْ عَادَانِي لِيكَ فِي الْعَامِقِ تَرْمِيهِ  
لَا نَقْبَلُ بِالْعَارِ لَا نَاشِ أَمَالِيهِ  
وَمَنْ يَصْحَبُ سُلْطَانَ كَيْفَاشْ يُخْلِيهِ  
وَالْعُسْرِي يُسْرِينُ مَقْرُونِينَ عَلَيْهِ  
تَسْحَى بَعْدَ الصَّبِّ وَالْمَيْتِ تَحْيِيهِ  
بَعْدَ الشَّدَّةِ فُرَاحٌ وَالنَّصْرُ يُوَالِيهِ  
رَيْتُ الصَّبْرَ ذَوَا لَلِّي ضَاقَتْ بِيهِ  
وَفِيهِ يَقْضِي الْإِلَهَ وَالْحُكْمَ إِلَيْهِ  
يَضُوي عَنِّي الْمَكَانُ نَلْتُ اللَّي نَبِغِيهِ  
وَاصْحَابُو كَالْبُدُورِ جَمَلُهُ لَأَدُو بِيهِ  
الْحَاجِ اعْلَيْهِ قَالَ حَبِيبِي نَحْمِيهِ  
وَارِثُ جَمْعِ الطَّرِيقِ كَبُّ الْمَصْرَفِ فِيهِ  
بَابُ اللَّهِ مُقِيمٌ مُوَلَانَا رَاجِيهِ  
بِكُثْرِ صَلَاةِ الرَّسُولِ نَحْتِمُ نَظْمِي بِيهِ  
آ سَتَّارُ الْعُيُوبِ أَنَا عِيِي عَطِيهِ  
جَفُونِي بِالفِرَاقِ وَالصَّدِّ مَسَامِيهِ  
نِتَلَدُّ بِالْعِرَامِ لَا تَبْدِيلُ عَلَيْهِ  
فِي التَّسْعَةِ وَحَمْسِينَ مِنْ جُمَادٍ لَيْلَةٌ أَيْبَةٌ<sup>1</sup>

# قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- المقابلات الشخصية

## أولاً: الكتب المنشورة بالعربية

- 1- أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2006، ج 1.
- 2- أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، د ط، سنة 2008، ج 2.
- 3- أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2013، ج 4.
- 4- الأزهر ضيف، البيئة والمجتمع دراسة تحليلية للصحة والمرض في منطقة وادي سوف، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، ط 1، 2010.
- 5- إلياس الموصلي، الذهب والعاصفة رحلة إلياس الموصلي إلى أمريكا أول رحلة شرقية إلى العالم الجديد 1668-1683، حرّرها وقدم لها نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع و المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، سنة 2001م.
- 6- ثريا التيجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري وادي سوف نموذجاً، دار هومه، د ط، د ت.
- 7- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت، د ط، ج 2.
- 8- حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط 1، سنة 1991.
- 9- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ط، ج 3.
- 10- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، لبنان، ط 15، 2002، ج 1.
- 11- زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1981م.
- 12- السعيد بو طاجين، الاشتغال العمالي دراسة سيميائية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2000.
- 13- سليمان مظهر، أساطير من الشرق، دار الشروق، ط 1، سنة 2000.

- 14- ابن سينا، ابن طفيل، السهروردي، تحقيق وتعليق أحمد أمين، دار الصدى للثقافة والنشر، طبعة 2005.
- 15- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدّم له وحققه عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، د ط، سنة 1997م، المجلد 1.
- 16- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط 4.
- 17- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، د ت.
- 18- عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- 19- أبي عبد الله محمد بن إدريس، ديوان الإمام الشافعي، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له: عمر فاروق الطّبّاع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د ط، د ت.
- 20- عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، 2004، د ط، ج 1.
- 21- علي إبراهيم كردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م، د ط.
- 22- عمر بن عبد العزيز السيف، بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز، الانتشار العربي، لبنان، ط 1، 2009.
- 23- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين -دراسة تحليلية مقارنة- مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1996م، د ط.
- 24- العيادي بلغيث، الرحلة في الشعر الشعبي، مكتبة علاء الدين، صفاقص، ط 1، مارس 2003.
- 25- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 2، سنة 2002.
- 26- فراس السواح، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة دراسة شاملة مع النصوص الكاملة وإعداد درامي، دار علاء الدين، دمشق، ط 2.

- 27- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 8، سنة 2005م.
- 28- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010.
- 29- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر 1983.
- 30- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج 1،
- 31- مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط 2، سنة 1984.
- 32- محمد الصالح بن علي وحمادي محمد نافع، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2006.
- 33- محمد الصالح بن علي، من روائع الشعبي علي عناد، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط 1، 2008.
- 34- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، 1967، د ط.
- 35- محمد المرزوقي، مع البدو في حلهم وترحالهم، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط 2، 1984.
- 36- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط 3، ج 11.
- 37- نبيلة سنجاق، الشعر الشعبي ونداءات الحداثة، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، د ط، د ت.
- 38- النسائي، السنن الكبرى، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، ج 7.
- 39- ناصر عبد الرزاق المواني، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، ط 1، سنة 1995م.
- ثانيا: الكتب المترجمة
- 1- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال حضري، الدار العربية للعلوم، ط 1، 2007.

2- دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2008.

### ثالثا: الكتب الأجنبية

1- Larousse, petit Larousse illustré, Librairie Larousse, 1990

### رابعا: الدوريات

1- أحمد زغب، سيمياء الرحلة في الشعر الشفاهي، مجلّة الفنون الشعبية، العددان 81/82 يناير 2009.

2- أنيس منصور، أعجب الرحلات في التاريخ، سلسلة جدران المعرفة 2006، مطابع الأهرام التجارية مصر، ج 1.

3- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جانفي 1978م، العدد 138.

4- السيد إمام، مدخل إلى نظرية الحكيم، مؤتمر أدباء مصر، الأبحاث، الدورة الثالثة والعشرون، 2008.

5- سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، الكويت، جانفي 1987، العدد 338.

6- فاضل إسماعيل خليل، الرحلة في طلب الحديث، مجلة آداب البصرة، البصرة، سنة 2005م، العدد 38.

7- نادية محمود عبد الله، الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندريه جيد، عالم الفكر، الكويت، المجلد 13، العدد 4، جانفي، فيفري، مارس 1983.

### خامسا: الرسائل الجامعية

1- أحمد زغب، جمالية الشعر الشفاهي نحو مقارنة سيميائية أسلوبية للنص الشعري الشفاهي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، 2006/2007.

2- لمبروك أعمر، الفضاء المدني ودوره في التشكيل السردية - رحلة العبدري أنموذجا - مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2013.

### سادسا: المخطوطات

1- مجموعة قصائد شعرية من أرشيف الأستاذ محمد الصالح بن علي

# الفهرس

## مدخل: في أدب الرحلات

8	تمهيد
8	تحديد المنظومة اللغوية والاصطلاحية
8	الرحلة لغة
10	الرحلة اصطلاحاً
11	أدب الرحلات
16	دوافع وأغراض الرحلات
18	أنواع الرحلات

## الفصل الأول:

### المفاهيم والمباني الدلالية للرحلة الدينية في الشعر الشعبي

27	تمهيد
28	مفهوم شعر الرحلة
32	عناصر الرحلة في القصيدة الشعبية
40	أنواع الرحلات في الشعر الشعبي
40	الرحلات الخيالية
41	الرحلات الواقعية
42	الضحضاح الخادع
43	الرحلة الدينية في الشعر الشعبي السوفي

## الفصل التطبيقي:

### رحلة قدور بالتومي إلى المقدّس

50	تمهيد
51	الشاعر قدور بالتومي ورحلته لأداء فريضة الحج
58	النموذج العاملي لقصيدة قدور بالتومي

66	المرّبع السيمائي لقصيدة قدور بالتومي
70	الثنائيات الضدّية في القصيدة
85	خاتمة
89	الملاحق
116	قائمة المصادر والمراجع
122	الفهرس